روايات مصرية

3

ميتافيزيقا

تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة

ساوين!

Looloo
www.looloolibrary.com

أحمد فكري

مقـــدمة

ميتافيزيقا ...

مصطلح يعنى الأشياء التى لا تخضع لقوانين الطبيعة ، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا ، بأنها الأشياء التى تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة .. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا : ما وراء أو بعد) و (φυσικά) وتعنى (فيزكا : مادى أو طبيعى) .

* * *

البـــدايـة ..

الجميع يقف .. يترقب .. ينتظر .. يدق قلبه بعنف من فرط الإثارة ..

وفى الناحية الأخـرى ، وقـف (ريجوس) إلى جوار (ســامهين) ، يرقبون المقابر ، التى تم إنشاؤها منذ أيام ..

المشاعل تنتشر فى جميع الأرجاء .. الطبول تدق بشكل درامى بحـت ، تجعل قلبك يدق معها .. يصرخ أحد الصبية فى أمه ، وهو يـشير ناحيـة إحدى هذه المقابر ، ويتوارى ، خلف عباءتها :

ــ انظرى يا أماه .. لقد تحركت الأرض !!.. إن أبى سوف ...

وبترت عبارته تلك اليد المعروقة ، التى خرجـت مـن تحـت الأرض ، وبدأت فى إزالة التراب عن سطح الأرض ، ثم تبعتها اليد الأخرى ، وأخذت تفعل ما تفعله الأخرى كأنها تحفر الأرض حفرًا !!

بالطبع كان هذا حال باقى الجثث ، التى خرج بعضها بهيئتها الكاملـة .. لم ينقصها شىء !!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

جـار جـديـد ..

وقف الدكتور (عبد الحميد الششتاوى) .. كبير مفتشى الآثار .. فى الخمسين من عمره بدينًا ذا عينين خضراوين أو ربما سماويتين ــ لا أدرى حقيقية ــ على باب البناية يرمق أى أحد ربما يعرفه ، لكنه لم ير سوى ذلك الرجل ، الذى تمدد على تلك الأريكة ، فى مدخل البناية ، وراح يشاهد التلفاز فى سعادة عارمة ، خمن أنه حارس البناية ، فأنزل الحقائب عن راحتيه ، ونادى عليه ..

ما أن رآه الرجل حتى هم بالنهوض مفزوعًا ، وهو يضيف :

ــ نعم .. من هناك ؟!

قالها ، كأنه يمتلك العالم بأسره ، وليس البناية .. ثم أضاف بعد أن وضع قدميه فى خفه ، ونهض تاركًا مكانه الساخن الدافئ :

ــ من تريد يا بيه ؟

سمع (عبد الحميد) تلك الكلمات ، فأضاف :

ــ إنه أنا (عبد الحميد الششتاوى) .. من أنت ؟

نظر إليه الرجل ، مضيفًا وقد تهلل وجهه :

ــ أنا (رجب) البواب يا بيه ، حمدًا لله على سلامتك ، لقد أخبرنى والدى رحمه الله ، عنك ..

رمقه (عبد الحميد) ، ثم أضاف :

ــ أنت إذن ابن (بسطاوى) .

ــ نعم هو .. حمدًا لله على سلامتك يا بيه .

قالها (رجب) ، بعد أن حمل الحقائب ، واتجه إلى المصعد وخلفه (عبد الحميد) يسير فى تؤدة ، فأضاف هذا الأخير ، وهو يدلف إلى المصعد :

ــ من الواضح أن البناية قد اكتملت العدد .

ــ نعم يا بيه .. فلا يوجد شقة واحدة فارغة ، لقد تغير الزمان كذلك .

قالها ، لا يعلم لما ، فليس لها أية مناسبة فى الحوار ، لكنه قالها لمجرد أنه سمعها فى إحدى المسلسلات .

ضغط على إحـدى أزرار المصـعد ، فانطلق المصـعد إلى شـقة (عبد الحميد) .

وفى أثناء تلك الرحلة إلى شقته ، شرع (رجب) يقص عليه تاريخ كل ساكن فى العمارة عندما يصل إلى طابقه الذى يخصه ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الدعـوة عامـة ..

كنت أتابع إحدى حلقات برنامج ما بانس .. يشعرك من الوهلة الأولى أن الدنيا مليئة بالمصائب ، والعفاريت ، والجان ، وأنك لن تنعم أبدًا بالحياة الطيبة ، ما دمت تجلس لتشاهد ذلك البرنامج ..

حين دق جرس الباب باستمرار ، معلنًا عن زائر ، فأغلقت التلفاز إلى الأبد ، ونهضت كى أستجيب ..

وجدت رجلاً بدينًا .. بلا شعرة واحدة فى رأسه ، يرتدى عوينات سميكة بعض الشىء .. ويبتسم فى بلاهة ..

لكن والحق يقال ، كانت تلوح عليه علامات النعمة ..

أماء لى برأسه محييًا ، وهو يضيف :

ــ الدكتور (عبد الحميد الششتاوى) .. كبير مفتشى آثار ..

قالهـا ، وهـو يمـد يده إلىَّ كى يصـافحنى فى حـرارة مبالغ فيها ، ويضيف :

ــ أنا جارك الجديد ..

ــ أهلاً وسهلاً .. مرحبًا بك فى العمارة ..

ــ عذرًا على أننى قد جئتك بلا موعد سابق ، ولا ...

قاطعته قائلاً :

ــ لا عليك .. هل هنالك خطب ما ..

قلتها فأجابنى ، بخجل واضح :

ــ لقد عدت أمس من بريطانيا .. و .. وكنت أود أن ... أتعرف على الجميع .. أقصد على من يقطن معى بالبناية .. لو أمكن أن .. تشرفنى .. ويسعدنى ذلك قالها ، وأكمل :

ــ سوف أعد حفلة لا بأس بها للتعارف ..

ــ على الرحب والسعة .. لكن متى ؟

ــ غدًا فى السابعة مساء .. لو أمكن ..

قالها ثم أردف :

لقد علمت من (رجب) البواب أنك الوحيد الذى يعيش بمفرده فى العمارة ، لأن زوجتك وابنتك قد توافهم الله فى حادث ، وأنك اجتماعى كذلك .. لذا جئتك أولاً ، كى تخبر الجميع .. عذرًا .. أنت أعلم بمن يقطن ها هنا .. أما أنا فلا ، لذا ...

ــ يالـ (رجب) الثرثار !

قلتها محدثًا بها نفسى ، ثم قاطعته موفرًا عليه كم الاعتذارات الذى سوف يلقيها فوق رأسى :

ــ لا عليك .. سوف أخبر الجميع إن شاء الله ..

ــ شكرًا .. لا أعلم كيف أشكرك حقًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لا عليك .. تفضل ..

قلتها فصافحنى مودعًا ، وانصرف ..

أغلقت الباب خلفه ، وأنا أحمل على عاتقى دعوة كل شخص بالبناية ..

* * *

فى الحفلة ..

أمسك (هيثم السلحدار) صحنًا به قطعة من الجاتوه ، وشرع يلتهمها بنهم ، وهو يضيف بفم ممتلئ :

ــ لقـد تشرفنا يا دكتـور (عبـد الحميد) .. لكن لم تخبـرنا بعـد لماذا اخترت الآثار كى تنال فيها درجـة الدكتوراه .. وما هو علم الآثار هـذا ؟

ابتسـم الدكتـور فى وقار ، وأضاف وهو يزفر دخان سيجارته فى الهواء :

ــ إنه الولع الشديد ، يا أستاذ (هيثم) .. الولع الذى يدفعك لتختار شيئًا بدلاً من آخر ..

قالها ، وأخذ نفسًا آخر من سيجارته ، وأضاف :

ــ أنت مثلاً ، هل لك أن تخبرنى لما فضلت كتابة قصص الرعب ، ولم تكتب فى الأدب الرومانسى مثلاً ؟

« التهم هيثم ما تبقى من الحلوى ، ولعق أصبعه فى نهم ، وتلذذ وأضاف فى حيرة :

ــ الحقيقة أنه .. مم .. أنا أحب ذلك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وأنا كذلك .. « أحب ذلك » ..

قالها الدكتور ، وأضاف شارحًا :

ــ أما علم الآثار .. فربما له تعريفات عدة ، لكن تعريفى أنا له أنه العلم المعنى بدراسة آثار وبقايا وأطــلال الحضارات الإنسانية فى العصــور المختلفة ، وتحليل البيئة الثقافية والإنسانية التى كانت تقوم عليها هذه الحضارات ..

فرغت أنا من ثمالة الفنجان ، وأضفت :

ــ عذرًا يا دكتور ، لكن يؤرقنى سؤال منذ قديم الأزل ، لا أعلم إجابته .. وهو لماذا تتم فى أغلب الأحيان « إن لم تكن جميعها » دراسة ذلك العلم بالتحديد فى خارج البلاد .. هل مثلاً هنالك مواد زائدة .. أو مثلاً التاريخ يدرس بشكل آخر ؟

زفر (عبد الحميد) الدخان مرة أخرى ، وألقى بالسيجارة فى المطفأة ، وابتسم مضيفًا « كأنه يتحدث إلى شخص معتوه مغيب تمامًا عن الدنيا » :

ــ الإمكانات يا أستاذ (إبراهيم) الإمكانات هى التى تدفعك إلى التعليم بالخارج .. قالها كأنها إجابة كافية ، وأضاف :

ــ وبالنسبة إلى المواد فهى كثيرة .. مثل .. مم .. الممارسة الأثرية .. الكيمياء ، علم الأحياء ، وكذلك علم الـ paleoecology علم العظام البشرية وعلم الوراثة .. وغير ذلك الكثير ، والكثير ..

أما بالنسبة لموضوع دراسة علم التاريخ هذا ..

قالها ، وأردف :

ــ أنا لم أخــذ منهم التاريخ يا أســتاذ (إبراهيم) .. لأن مثل هؤلاء لا يؤملون فى تدوين التاريخ ..

ــ لماذا ؟

ــ لأنك لا تعلم ما أعلمه أنا عن التاريخ ، وتزييفه ..

ــ ماذا ؟!

قلتها معربًا عن إصابتى بحماسة تجاه الموضوع ، فأكمل هو بعد أن نقلت له العدوى :

ــ نعــم .. هنــاك أشــياء قــد سقطت مــن التــاريخ عنــوة ، وعن قصد .. وهناك أشياء قــد شوهت ، وطمست .. وهنالك الكثيــر والكثيــر من الأباطيل ، التى لا أساس لها قد دست وحشرت فى التاريخ لتصبح جزءًا منه !

فرغ مما قال ، وأشعل سيجارته المائة ، وأضاف :

ــ خذ عندك مثلاً .. العالم (جاليليو) الذى يقولون عنه أنه هو من أخضع العلم للتجربة ووضع كذلك أساس المنهج العلمى الذى يقوم على التجريب .. وتجاهلوا الحقيقة التاريخية ، وهى أن ذلك المنهج قد بدأ قبل ذلك (الجاليليو) بكثير على يد العلماء المسلمين أمثال (جابر بن حيان) .. (مسيلمة بن أحمد) ، و(الحسن بن الهيثم) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وكذلك قولهم إن أول من اكتشف الدورة الدموية هو (هارفى) ، متجـاهلين أن العـالم الجليـل (ابن النفـيس) كـان له دور عظيم فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى ، وذلـك فى القـرن الثـانى عشر الميلادى ..

نظرت له فى إعجاب ، وأضفت :

ــ أنت موســوعة بحق يا دكتــور .. ويبدو أننى سوف أصعد إليك بين الفينة والفينة كى تقص على « التاريخ كما يجب أن يكون » ..

ابتسم فى وقار ، وأضاف متسائلاً وهو يرمق (هيثم) ، الذى فرغ من قطعة الحلوى ، وبدأ فى التهام الصحن :

ــ وأنت يا أستاذ (إبراهيم) لماذا قررت ألا تمارس مهنتك ؟

تنهدت طويلاً ، وأجبته فى أسى :

ــ إن لهذا قصة طويلة .. سوف أقصها عليك ذات يوم ..

ــ عذرًا .. هل لى بدخول الحمام ؟

قالها (هيثم السلحدار) وهو يمسك معدته ، كالأطفال ، وكأنه ينتظر معلمه كى يأذن له .. فأشار له الدكتور (عبد الحميد) تجاه الحمام ، وهو يضيف :

ــ بالطبع .. تفضل .. إنه هناك .. عن يمينك ..

قالها فانصرف (هيثم) من بيننا متجهًا إلى الحمام ..

ابتسمت أنا ، وأضفت :

ــ أنت تعلم طباع هؤلاء الأدباء ..

نظر إلىَّ ، ثم سحب نفسًا عميقًا من لفافة التبغ .. زفره فى الهواء ، وقال متفهمًا :

ــ نعم .. نعم .. أعلم ذلك ..

* * *

فى تلك الأثناء كان (علىّ) .. عذرًا أراكم تتساءلون من (على) هذا وما الذى أتى به إلى هنا ؟

أعتذر عــن ذلك السهو ، فأنا لم أخبركم بعــد أن (هيثم السلحدار) متزوج ، وله طفل عمره سبعة أعوام .. وهذا الطفل يدعى (على) ..

على كل .. يمكننا أن نصف ذلك الطفل بأنه إبليس يمشى على قدمين « إن صح التعبير » ..

يمكنك أن تراه فوق المائدة أو تحتها ، أو فوقك أنت ، أو داخل المطبخ يزدرد قطع الحلوى ازدرادًا ..

أرمقه أنا ، وأرمق أباه ، فينظر لى بفخر ، كأنه صنع إحدى المعجزات ، ويبتسم وهو يضيف :

ــ إنه ابنى ..

عندها تشعر أن تلك المقولة المأثورة « من شابه أباه فما ظلم » قد قيلت لأجلهما .

يدلف (على) فى خلسة إلى غرفة مكتب الدكتور (عبد الحميد) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

يعبث هنا وهناك ، يرى تلك التحف والتماثيل الكثيرة .. بالطبع لم تمثل له تلك الغرفة إلا كما يمثله المتحف المصرى للحمار ، فهو لن يفقه شيئًا إن ملكته إياه حتى ..

لذا تجده وقد أمسك بأحد التماثيل ، وأخذ يقلبه بين راحتيه ، ثم دسه فى طيات ملابسه ، وخرج متهللاً ، إلى حيث أبوه ، كأنه لم يفعل شيئًا ..

* * *

وهكذا مر الوقت ممتعًا داخـــل شقة (عبد الحميد) الوافد الجديد فى البناية ، وانتهت الحفلة ، وانصرف الجميع عائدًا إلى شقته ..

* * *

زمـــن آخـــر ..

الآن نحن فى سنة 500 قبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) ..

المكان أوروبا .. بالتحديد شبه الجزيرة الأيبيرية(*) ..

الآن أرجو منكم أن تطلقوا العنان لخيالكم ، وهلموا معى لندنو أكثر من ذلك القصر .. نرى هؤلاء الرجـــال وهم من الطبقـــة الكهنوتية من المتخصصين فى الدين والسحر يجثون على ركابهم أمام ذلك الرجل الأصلع ، المنقوش على صلعته عدة رسومات ، تمت لذلك العصر .. عيناه المحددة بالإثمد تجعله أشبه بالفراعنة ..

يبتسم فى فخر ، ثم يشير لهم بيديه كى ينهضوا ، يفتح فمه ليقول شيئًا ما بلغة ما لن نفهمها ، لكننا هاهنا سنفهمها حتمًا ، فنجده يقول :

ــ اقترب يا (ريجوس) ..

يقولها فيدنو شخص من هؤلاء الكهنة ، أســـود اللون .. ذو أنف ضخم منفوش ، يحتل وجهه بالكامل .. ملتحٍ .. يدنو وهو يحمل فى يده تمثالاً قبيح الشكل ، صنع من مادة تشبه الصلصال إلى حد ما يشبه كذلك ذلك آل (سامهين) .. ثم يمد يده إليه به ، مضيفًا :

ــ تفضل يا مولاى (سامهين)(**) لقد فعلت ما أمرتنى به .. لعلنى أنال رضاكم ، وأكون من المقربين .

(*) شبه جزيرة أيبيريا أو شـــبه الجزيرة الأيبيرية .. كانت تسمى جزيرة الأندلس أثناء فترة الحكم الإسلامى للأندلس .. وهى تقـــع فى الجـــزء الجنوبى الغربى من قـــارة أوروبا .. تتكون من إسبانيا والبرتغال وأندورا ومنطقة جبل طارق .

(**) (سامهين) وتنطق كذلك ساوين بلغة الكلت والسلت

Looloo
www.looloolibrary.com

يقلب (سامهين) هذا التمثال بين راحتيه ، ثم يضيف مبتسمًا :

ــ أنت تعلم من أين تؤكل الكتف يا (ريجوس)

يقولها ، ثم يصمت برهة ، بعد أن قلب التمثال يمينًا ويسارًا وفشل فى فك طلاسمه :

ــ وكيف يعمل هذا ؟

قالها ، ليتقدم (ريجوس) ويهمس فى أذنه بشىء ما ، فيتهلل وجه (سامهين) هذا فرحًا ، ثم يصرخ فى مساعده ، الذى يقوم بدور الوزير ، بشعره الطويل الممشط إلى الخلف ووجهه الحليق قائلاً :

ــ (إيمرى) لتأمر بجمع النـــاس حالاً .. ولنر صـــدق (ريجوس) من عدمه ..

* * *

هنـــاك لـص ..

دق جرس الباب ، فتركت ما كنت أفعله ، وهو لا شىء ، وذهبت لأفتح ، فوجدت الدكتـــور (عبد الحميد) يقـــف خلفه محمر العينين ، ومنتفخ الوجـــه ..

ــ تفضل يا دكتور .. هل حدث شىء ما ؟

قلتها ، فلم يلبث أن دلف إلى الشقة ، وأخذ يقطعها جيئة ، وذهابًا .. راسمًا دوائر بحركته كالأسود ، لكن ينقصه الزمجرة ، فأطلقها بالفعل ، قائلاً :

ــ لقد تمت سرقتى !

ــ ماذا ؟

ــ لقد سرقنى أحدهم ..

ــ من تقصد بأحدهم ؟

ــ السكان المحترمون !

ــ عذرًا .. أنا لا أفهم شيئًا على الإطلاق ..

قلتها فهمدت حركته ، وبدأ يهدأ ، ويقص على ما حدث تفصيلاً ..

ــ لقد سرق أحدهم تمثالاً نادرًا .. لا يقدر بثمن ..

ــ فرعونى ؟

ــ لا .. لكنه لا يقدر بثمن ، لأنه نادر .. نادر جدًّا .. لأنه من الحضارة الكلتية(*) أو الدرويدية ..

(*) الكلت : هم أى مجموعة أوروبية تستخدم اللغة الكلتية التى تعتبر فرعًا من اللغات الهندية الأوروبية .. وتم استخدام لفظة الكلت أيضًا للإشارة إلى العديد من الثقافات الأثرية .. أما لفظة درويدى فقد أطلقت على زعمائهم الدينيون من القساوسة .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ درو .. ماذا ؟

ــ الدرويدية .. لك الحق أنك لا تعرف عنهم شيئًا ، لأن الكلت لم يتركوا وثائق مكتوبة أو منقوشة تحكى تاريخهم ، فلم يعرفــوا الكتــابة ، وكل ما يتوفر عنهم ما سجله جيرانهم مــن الحضــارات الأخــرى التى احتكت بهم ..

لهذا فإن ذلك التمثال ، يعد أثرًا نادرًا ، ولا يقدر بثمن ..

ــ وما المطلوب منى الآن ؟

تنهد طويلاً ، وأخرج لفافة تبغ ، وأخذ منها عدة أنفاس ، زفرها كلها فى هواء شقتى ليلوثه ، وأضاف :

ــ حقيقة أنا لا أعلم .. لكننى لم أجد أحدًا غيرك كى يشير على ، ويساعدنى ..

لم أدر بما سأرد على ذلك البائس ، لكننى قلت فى كياسة :

ــ أترك الأمر برمته الآن .. وسوف أبحث عن حل ، وسوف نجده إن شاء الله ..

قلتها ، بمثابة المخــدر الموضعى ، الذى سرعان ما سيزول تأثيــره ، فأضــاف :

ــ أعتمد عليك ، يا أستاذ (إبراهيم) ..

قالها بعد أن نفس ثمالة اللفافة ، وسحقها تحت قدمه ، داهسًا بحذائه على سجادتى ، ثم غادر الشقة .. وتركنى مبلبل الأفكار ، أخمن من هو ذلك اللص ، وأفكر فى كيفية استرداد ذلك التمثــال الخاص بالحضارة « الدودية » !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى منـزل هيثـم ..

بالطبع فى هذه الأثناء كان (على) يلهو بالتمثال فى غرفته ، غير فاهم أنه قد تسبب فى كارثة ..

تدخل عليه والدته ، لتجده يضعه أمامه ، وينظر إليه فى تفحص ..

تصفعه على قفاه ، وهى تضيف :

ــ كم مرة أنذرتك عدم السهر .. انظر إنها الثانية صباحًا .. أخبرنى كيف ستذهب غدًا إلى المدرسة ؟

قالتها ، وهى تجره من أذنه جرًا لتريه ساعة الحائط المعلقة فى صالة الشقة ، ثم عاودت الكرة ، وهى تعيده حيث غرفته .. عندها لمحت التمثال ، فانحنت لتلتقطه ، وهى تضيف :

ــ من أين أتيت بهذا أيها الشيطان الصغير ؟

نظر لها الطفل وهو يرتعد ، وفى تردد مخلوط بحذر ، أضاف :

ــ إننـ .. إنه .. أبى .. لقد ابتاعه لى .

قالها فرمقته بنظرة تشكك ، ثم أضافت ، وهى تخرج من الغرفة حاملة إياه :

ــ سوف أرى إن كنت صادقًا أم ...

بتر عبارتها ، قائلاً :

ــ إنه ليس .. لقد .. أخذته من شقة ذلك الرجل البدين ..

ــ سارق !!

قالتها شاهقة فى ذهول ، جعلها تنسى حذرها ، فانسل التمثال من بين يديها كأنه الماء ، وسقط على الأرض !

اقشعر جسدها ، وانتظرت سماع صوت " فششششش " ، لكنه لم يأت ، لم يتحطم التمثال !

التقطته ، وراحت تقلبه بين يديها لتطمئن أكثر ، هنا شعرت بملمسه ، الذى يشبه « الصلصال » ، ولاحظت ذلك الشق الجانبى ، الذى ظهر بفعل ارتطامه بالأرض ، حاولت معالجته بأظفارها ، فوجدته ، ينشق بأكمله ، كالأرض عندما يشقها البركان ، أو أى وصف آخر ..

لينشطر إلى نصفين متساويين .. ليس هذا هو الغريب فى الأمر ، لكن الشىء الأغرب هو تلك القلادة غريبة الشكل ، التى التصقت فيه من الداخل !

بأظفارها أخرجتها بالكامل ، ونست أمر التمثال ، وبدأت تقلب فيها وهى تنظـر إلى (على) ، الذى بدوره فغـر فـاه ، فى بلاهة غير مصدق ما يحدث ، وأضاف :

ــ لابد أن هذه تساوى ثروة .. وكذلك يبدو أن صاحب التمثال ، لم يكن على علم بها ..

لم تعره والدته اهتمامًا ، فقط ، ارتدت القلادة ، ثم نظرت فى المرآة ، وهى تضيف :

ــ إنها رائعة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

نظر لها الولد فى حنق ، وقال فى نفسه : « ها هى ذى التى حدثتنى منذ قليل عن الأخلاق » ، فأضاف فى خبث :

ــ نعم .. إنها رائعة .. خذيها إنها لك ، لكن اتركى لى التمثال ، وذلك مقابل ألا تخبرى أبى ، وأنا كذلك لن أخبره ، بأمر القلادة .

رمقته بنظرة خبث واضحة ، وأضافت :

ــ يا لك من شيطان صغير !

* * *

ســـامهيـن ..

نعود إلى زمن آخر ومكان آخر ، ونقف وسط هؤلاء الجمع ، الذى أمر بجمعه (سامهين) ..

الكل ينتظر أن يبرهن لهم (سامهين) أنه إله(*) !

يقف (ريجوس) على مقربة من (سامهين) ، ويردف :

ــ لا تقلق يا مولاى ، سوف تفلح .. لقد وضعت كل خبرتى فى السحر الأسود فيه ، وسوف يفلح .. صدق خادمك المطيع .

يقولها فيتشجع (سامهين) ، ويعبث بأظفاره فى جانب التمثال ، كى يظهر ذلك الفراغ الموجود فى جانبه ، ثم يشقه إلى نصفين ، كأنه علبة أقلام راقية ، فيفصح عن قلادة غريبة الشكل ، يخرجها من بين طيات الصلصال ، ويرتديها ، ثم يخرج إلى الجمع المحتشد بالخارج ..

* * *

يجلس هامسًا فى أذن (إيمرى) ، فيسرع الأخير بالإجابة قائلاً :

ــ نعم .. قد فعلت ..

يقولها ثم يصرخ قائلاً :

ــ فليخرج جميع الأطباء كما أمرتهم ..

(*) تذكروا أنه لا إله إلا الله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

عندئذ نرى جمعًا لا بأس به يخرج من وســط الحشــود المجتمعة ، ليتراصوا بجانب بعضهم البعض .. ثم يضيف :

ــ والآن ليخرج من كل أسرة ربها ..

يقولها وسط صراخ ، وولولة النساء على أزواجهن .. ووسط نحيب الأطفال فيضيف :

ــ لا تخفن على أزواجكن ، فسوف يميتهم الإله (سامهين) ويحيهم مرة أخرى ، حتى يصدقه الجميع ، ويخضع له ، ويقدم له القرابين(*)..

* * *

وهكذا يترك كل زوج زوجته ، ويتجه إلى الساحة ..

يصرخ (إيمرى) مرة أخرى قائلاً :

والآن سوف يميتكم الإله (سامهين) .. لكن قبل أن يفعل ، فلينطــق كــل رجل منكم اسمه بأعلى ما أوتى من صوت !

* * *

تذكروا أن الله هو الذى يحيى ويميت .. ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى ﴾ .

(*) وبالطبع لم يكن يمثل ذلك إلا الميثولوجيا الكلتية وهى تعنى ميثولوجيا الآلهة المتعددة .. وكان الشرك الكلتى عنصرًا من عناصر مجموعة أكبــر من الأديــان الإلحادية الموجــودة فى الأسرة الهندية الأوروبية آنذاك .. إلى أن جاءت المسيحية وقضت على كل هذا .

رباب فضـل الله ..

1

زوجة الكاتب (هيثم السلحدار) ..

فى الأربعين من عمرها تقريبًا .. نصف جميلة .. نصف ذكية ، ونصف محظوظة كذلك .. هكذا تصف نفسها .

تزوجت من (هيثم السلحدار) ، بعد أن عاشوا قصة حب رائعــة فــى المعهد ، وساروا بين الأشجار ، وتنفسوا عطر الورد ..

قالوا : إن حياتهم سوف تظل كذلك إلى الأبد ..

قالت له : إنها لن تعيش يومًا بدونه ، وأن حياتها بلا معنى من غيره ..

قال لها : إنها صارت الهــواء الذى يستنشقه ، وأن الكون بأكمله يصير معه حين يقابلها ..

تعاهدا على الزواج ، وأن يبنيا حياتهما معًا ..

تخرجا من المعهد ، ثم تقدم لخطبتها كما وعدها ..

كم من المرات التى أخبرها أنه لا يملك شيئًا ، وأنه ينتظر حتى يمن الله عليه بعمل يدر عليه دخلاً أو أن إحدى تلك الروايات التى يكتبها تتحول إلى فيلم سينمائى وبعدها يطفــو على ســطح المجتمع ، لكنها أبت ألا أن يتقدم لها .

قالت له دامعة فى محادثة هاتفية طويلة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لقد أتى إلى أبى شخص لا بأس به ، يعمل بأحد المواقع البترولية ، وأنت تعلم أن مثل هؤلاء يمتلكون ميزة رائعة ، وهى أنهم لا يتم رفضهم ، وأنك إن لم تأت إلى سوف تخسرنى إلى الأبد ، وأنهت المكالمة مضيفة :

ــ إما نعم أو لا إلى الأبد .

قالتها ، ثم أغلقت سماعة الهاتف ، وهى تبتسم لصديقتها (داليا) ، التى أضافت :

ــ أحسنت .. الآن سوف يقلب الأمور فى رأسه ، وسوف يأتى إليك .

نظرت إليها (رباب) ، ثم أماءت برأسها موافقة ، وهى تضيف :

ــ أرجو ذلك .

* * *

أغلق هو بدوره السماعة ، وأخذ يفكر ، ثم قال فى نفسه ، بعد أن قلب الأمور يمينًا ويسارًا (فلأذهب ولأدع ما يحدث يحدث) .

لقد حسبها جيدًا ، فقد قال إنه لو لم يذهب سوف يكون فى نظرها خائن لا محالة ، وسوف يخسرها إلى الأبد كما قالت ، أما إن ذهب وتم رفضه من قبل والدها ، فسيظل دائمًا البرىء ، المظلوم ، الذى شق قلبه بسكين بارد ، فهو فى الحالتين سيخسرها ، لكن يخسرها بشرف خير من أن يخسرها ويظل نذلاً ، ثم ربما خاب ظنه ، وكان والدها رجلاً طيب القلب ، ووافق عليه .

إذن فليجرب .

* * *

وهكذا ذهب وهكذا قابل والدها ، وهكذا تم قبوله .. كيف ؟! لا يعلم ، صحيح أنه تردد ، بداعى العمل ، لكنه أقنعه بأنه يحب ابنته ، وسوف يحافظ عليها ، وأنه سوف يظل يبحث إلى أن يجد عملاً .. إلا أنه وافق .. ووافق دون أن يحدثه عن عامل البترول !

* * *

وهكذا مرت الأيام وتزوجا ، بعد أن حصل على عمل فى إحدى الشركات الخاصة ، لكنه كذلك ظل يكتب على أمل أن يكتشفه أحدهم .

وسرعان ما أنجبا (عليًا) ، الذى عقدت معه تلك الصفقة ..

* * *

وهكذا ارتدت القلادة ، ووارتها بين ملابسها ، وقررت أن تريها إلى صديقاتها ، اتجهت إلى سماعة الهاتف ، واتصلت بـ (داليا) أعز صديقة لها داعية إياها ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

صرخ (إيمرى) مرة أخرى قائلاً :

ــ فليبدأ الجميع بالنطق باسمه ، الآن ..

ما أن قالها حتى شرع الجمـــع الواقـــف مـــن الرجـــال ، بالصياح بأسمائهم ..

مرت عدة دقائق فرغ الجميع فيها من النطق باسمه ، فنظر (سامهين) إلى (ريجوس) مرة أخيرة قبل أن يهم بفعل شىء ما ، فأماء له الأخير برأسه إماءة ذات معنى ، فهمّ (سامهين) بترديد أسماء الرجال مرة أخرى بصوت مرتفع ، ثم تبعه مضيفًا :

ــ لتموتن أجمعين !

قالها ، وكأن الحياة توقفت للحظات ، وساد الصمت المكان ، إلا من صوت الأنفاس ..

أعاد نظره إلى (ريجوس) ، الذى وقف يرقب المشهد بحذر ..

ثم هوى الرجال أجمعين على الأرض بمشهد درامى ، كأنهم قد نفذ فيهم عقوبة الإعدام بإلقاء سهم واحد اخترقهم جميعًا ..

ما أن تهاوت الأجساد على الأرض ، حتى انطلقت الصرخات الأنثوية من كل حدب وصوب ، وبدأ النحيب ..

عندئذ أشار (سامهين) بيديه إلى (إيمرى) ، الذى فهم ما يعنيه ، فصرخ فى الأطباء قائلاً :

ــ والآن أيها الأطباء .. يمكنكم أن تفحصوا هؤلاء ، ولتخبرونا بما توصلتم إليه ، وتخبروا كل هؤلاء ..

قالها ، وانطلق الأطبـــاء يفحصـــون الجثث التى تكومـــت حولهم فى غرابة ..

* * *

مرت دقائق ساد الصمت فيها ..

وكانت كافية ، ليفرغ الأطباء من فحصهم ، وينهضوا ليبلغوا الجمع بما قد قر فى أنفسهم ..

ــ لقد ماتوا .. نعم لقد ماتوا !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

جلست (رباب) مع صديقتها (داليا) فى شقتها بالمقطم ، يرشفان الشاى الساخن ، ويثرثرن فى كل شىء ..

صديقاتهن اللاتى تزوجن ، واللاتى لم يتزوجن بعد ، وتلك التى تزوجت ذلك الصعلوك ، لأن قطار الزواج قد مر من أمامها وكادت ألا تلحق بآخر عربة به ، لذا قبلت ..

شروووووووف ..

رشفت (رباب) رشفة أخرى ، وأضافت ، وهى تخرج القلادة من طيات ملابسها :

ــ اتركى كل هذا ، وشاهدى تلك السلسلة .. لقد أحضرها لى (هيثم) زوجى ، فى عيد زواجنا .. إن ثمنها باهظ .. ونادرة كذلك ..

قالتها ، وهى تناولها إياها .. فالتقطتها صديقتها وأخذت تتفحصها بشغف ، ثم أضافت :

ــ تبدو قديمة ..

تناولتها (رباب) منها مرة أخرى ، وهى تضيف :

ــ نعم هى كذلك ، لذا فهى نادرة ، وثمنها باهظ كذلك ..

قالتها ورشــفت رشــفة أخرى من الكــوب ، الذى برده الهواء ، ثم أردفت :

ــ ما أخبار شقيقتك (مى) ؟.. لقد حسبت أنها ماتت .. لقد افتقدتها كثيرًا هذه الفتاة ..

ــ لقد كانت معى بالأمس .. وأخبرتنى أنها اليوم فى مقابلة بإحدى الشركات الخاصة ..

ــ لمــا ؟

ــ تبحث عن وظيفة كديدنها .

ترررن ترررررن ترررررن

جرس الهاتف الخاص بـــ (داليا) يدق باستمرار ، مقاطعًا إياها ، فتشير إلى (رباب) ، وتضيف :

ــ إنها هى (مى) ..

تقولها ، وهى تضع الهاتف على أذنها ، وتضيف :

ــ ألو (مى) .. صمتت برهة ، ثم أضافت :

ــ من معى ؟!

تقولها فى غرابة بعد أن تبدلت ملامح وجهها ، فتسألها (رباب) بدورها ماذا هنــالك ؟ فتكمــل حديثها فى الهاتف دون أن تعير كلامها اهتمامًا :

ماذا ؟!... (مى) أختى أنا !!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

ســـيدة وفتـــاة ..

(داليا عبد الله راشد) .. مهندسة حاسب آلى ، وصديقة (رباب فضل الله) .. تعمل فى إحدى الشركات الخاصة ..

بالإضافة إلى ما سبق مطلقة .. لديها طفلة صغيرة تدعى (سلوى) ، هى حياتها تقريبًا ، تعلم أن الجميع ينظر لها نظرة خاصة ، شائكة ، والبعض يعتبرها مطمعًا كذلك ، لها أخت صغرى (مى) لم تتزوج بعد .. وتبحث عن عمـــل طـــوال الوقت ، لأنها لا تريد أن تتنازل عن مبادئها ، لهذا يقولون لها إنها سوف تظل تبحث عن عمل إلى قيام الساعة ..

صديقة (ربـــاب) منـــذ المعهـــد ، وصديقة (هيثـــم) كذلك ، تذهب من حين إلى آخر إلى (رباب) فى يوم عطلتها ، يظل يثرثرن فى كل شىء إلى أن يدنو الليل فتعود إلى شقتها ، التى تجلس فيها مع (مى) أختها ..

* * *

أما عن (مى) فلنقل إنها حياء ، وخجل ممتزجان سويًا ، أنبتا تلك الفتاة ، التى تسير على قدمين دقيقتين ..

تخرجت فى كلية الحقوق بتقدير جيد ، وبدأت رحلة البحث عن العمل ، ويا لها من رحلة !

لم تترك جريدة أسبوعية أو يومية ، ولا موقعًا على صفحات الإنترنت إلا وبحثت فيه ، وبعثت إليه بسيرتها الذاتية ، أخبروها مرارًا أنها بتلك الطريقة ، لن تجد عملاً .. فلابد لها أن تتنازل قليلاً ..

إلا أنها أبت بشدة ، رافعة رأسها بشمم إلى السماء ، مضيفة :

« إذا لم تصن عرضًا ولم تخش خالقًا .. وتستحى مخلوقًا فما شئت فاصنع » ..

وهكذا ظلت تبحث عن عمل ، وتبحث بين الرسائل الخاصة بالبريد الوارد فى صفحتها على الإنترنت ، حتى وجدت تلك الرسالة باللغة الإنجليزية ..

تهلل وجهها فرحًا ، وهى تفتحها ..

إنها من إحدى الشركات التى أرسلت لها سيرتها الذاتية ..

بشغف فتحت الرسالة ، وقرأتها لتعلن لها عن قبولها ، وعن تحديد ميعاد لمقابلة شخصية ..

ارتدت أجمل ما عندها ، وذهبت إلى مقر الشركة ، حالمة بتلك الوظيفة ، التى قد تقدمت إليها ، لكنها لم تنلها ، لما ؟

لأنها ببساطة ماتت !

كيف ؟

لا أحد يدرى بالضبط ، كل ما حدث هو أنها جلست تنتظر دورها فى الدخول إلى مدير شـــئون العاملين بتلك الشركة ، وعنـــدما أتى دورها ، ونادوا عليها ، لم تستجب !

Looloo
www.looloolibrary.com

فقط ظلت جالسة .. شاخصة النظر فى لا شىء !

ذهب أحدهم كى يطمئن عليها ، فهوت على إحدى جانبيها بلا حراك !

عندها اتصلوا بالإسعاف ..

وتبرعت إحـــدى الفتيـــات ، بأن أمســكت هاتف (مى) الخاص ، وبحثت عن أى شخص لتتصل به ، حتى وقعـــت عينيها على ذلـــك الاسم (داليا) أختى .

* * *

أمسكت (داليا) هاتفها الخاص ، ووضعته على أذنها بعد أن فتحته ، وأضافت وهى تنظر إلى (رباب) :

ــ إنها هى (مى) ..

قالتها ، وهى تضع الهاتف على أذنها ، وتضيف :

ــ (مى) .. صمتت برهة ، ثم أضافت :

ــ من معى ؟!

قالتها فى غرابة بعد أن تبدلت ملامح وجهها ، فسألتها (رباب) بدورها أن ماذا هنالك ؟ فأكملت حديثها فى الهاتف دون أن تعير كلام هذه الأخيرة اهتمامًا :

ــ ماذا ؟!... (مى) أختى أنا !!

نظرت لها (رباب) وأضافت :

ــ ماذا حدث ؟

أغلقت (داليا) الهاتف ، وأخذت تشق طريقها نحو باب الشقة ، وهى تصرخ ، قائلة :

ــ لقد أحضروا الإسعاف إلى (مى) .. يقولون : إنها فقدت الوعى !

* * *

ما أن انصرفت (داليا) حتى تركت (رباب) وقد استمرت فى محاولات بائسة منها للاتصال بها ، كى تطمئن على شقيقتها ، التى نقلوها إلى المستشفى لسبب ما لا تعرفه !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى العاشرة مساءً ..

دق جرس الهاتف الخاص بـ (رباب) فأجابت على الفور ، واضعة إياه على أذنها :

ـ (داليا) .. لقد حاولت الاتصال بـ .....

قاطعها صوت (داليا) القادم من الهاتف قائلاً :

ـ لقد ماتت (مى) .. ماتت ..

قالتها ، وأغلقت الهاتف ، لتتركها مبلبلة الأفكار ..

* * *

أول الغيث مصيبتان !

1

أمسك (هيثم) بقلمه ، وأخذ يخط الخطوط العريضة ، لقصته القادمة ، ويرشف من فنجان القهوة فى تلذذ ، كأنه يذيب التشوش الموجود فى عقله ، ويصفيه ، ثم ..

ـ (هيثم) ..

تنادى عليه زوجته ، وهى داخل المطبخ ..

ينظر تجاه المطبخ ، وهو داخل غرفته ، ثم يعيد نظره إلى كتاباته مرة أخرى ، كأنه لم يسمعها .. فتعاود النداء مرة أخرى ، فيترك ما كان يفعله هذه المرة وينتفض منتصبًا ، كى لا ينال منها ما لا يحمد عقباه .. ويتجه إليها راسمًا على وجهه ابتسامة مصطنعة ..

ما أن يصل إليها حتى تضيف دون أن تنظر إليه :

ـ هذا الأحمق الذى يدعى (رجب) ما فائدته ؟! ألا يكفى أنه ثرثار ، ويتدخل فيما لا يعنيه ، بل إنه غير ذى نفع .

قالتها ، وصمتت كأنما تنتظر الرد من زوجها ، لكنه لم يفعل ، فأضافت وقد استشاطت غضبًا ، وزادت حركتها فى تقطيع البصل :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ســوف يميتنى معلولة منه ومن أفعاله ، لقـد بعثته كى يحضر لـى احتياجاتى المنزلية منذ مائة ساعة ، ولم يعد بعد ، أرجـوك أن تهبط إليه ، كى تتيقن ، واعرف كذلك إن كان قد مات أو ليس بعد .

هرش فى رأسه ، يقلب ما قالته فى عقله ، ثم أضاف :

ـ ربما قد ألم به مكروهًا .

صمت ليضيف :

ـ ثم إن (الغائب حجته معه) .

نظرت إليه ، ومن عينيها يتطاير الشرر ، فأخذ بعضه ، وانصرف إلـى الخارج مناديًا على (رجب) ، الذى فى تلك اللحظة كان يقف متصلبًا فـى مدخل البناية بلا حراك .

* * *

2

لم يكن (رجب بسطاوى) من الذين يحبون العمل ، أو لنقل الحركـة ، فهو يفضل الجلوس أمام التلفاز طيلة الوقت ، لذا عندما توفى أبوه ، وأحل هو محله ، أحب ذلك العمل كثيرًا ، لأنه لا يحتاج إلى جهد ..

إذا أردنا أن نصف (رجب) بدقة ، لقلنا إنه أسمر اللون إلى حد السواد .. ذو شارب .. ضئيل الحجم كذلك ، وهو أقرب فى هيئته وشكله من الراحل الفنان (الضيف أحمد) .

« ما أفضـل الجلوس أمام التلفاز طيلة الوقت ، وشرب الشاى الأسـود الساخن فى ليالى الشتاء ! »

هكذا كان يقول دومًا ، لكن ما كان يعكر عليه صفو تلك الحياة الهانئـة صوت إحدى تلك النسوة اللاتى لا يكففن عن الطلبات ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

فى هذا النهار الأسود البارد بالنسبة له كان جالسًا كعادته يرشف الشاى فى متعة لامتناهية ، حين نادت عليه تلك السيدة التى تـدعى (ريـاب) ، مطالبة إياه بالصعود إليها كى يبتاع لها بعض الحاجيات ..

ترك ما كان يفعـل ، ونهض تاركًا كل شىء ، وصـعد إليها فى ثقـل ، وملل ..

ما أن وصل إليها حتى أغرقته سبابًا لا بأس به ، ثم أملت عليه ما تريد ، بعد أن نقدته مالاً ، فانصرف من أمامها ، وهو يبادلها السباب فى سـره ، متجهًا إلى السوق ..

وقف فى الســوق يتحدث إلى هــذا وذاك ، بعد أن ابتاع أشياء ونــسى أشياء ، وأخذ بعضه ، وعاد أدراجه إلى البيت .

ما أن دلف إلى مدخل البناية ، حتى تـصلب مكانــه ، ووقــف لثــوان بلا حراك ، كأنما قـد شـل أطرافه ، لكنه فى الحقيقة قد مات .. ثم هوى على الأرض بلا حراك ، بعد أن بعثر كل ما أحـضره علــى الأرض إلــى جواره !

* * *

وهكذا أخذ (هيثم) ينادى على (رجب) البواب ، الذى كان ممددًا على الأرض فى فناء العمارة بلا حراك ، فلم يجبه ، لذا هبط (هيثم) كى يرى ما قد ألم به ..

وحين وصل هــذا الأخير إلى الفنــاء كان (رجب) قــد لفــظ أنفاســه الأخيرة !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

إلـه المـوتى (*) ..

1

نظر (سامهين) إلى (ريجوس) ، الذى ابتسم فى شمم ، وخبث ، ثم أردف هامسًا :

ــ أمرهم أن يدفنوهم حيث هم ، وليجتمع الكل مــرة أخرى بعد ثلاث ليال .

صــوب (سامهين) نظــره إلى (إيمرى) ، وأضاف مرددًا ما قاله (ريجوس) :

ــ ادفنوهم حيث هم ، وليجتمع الكل بعد ثلاث ليال كاملة ، ليروا صنيعى ، وما أستطيع فعله ..

وهكذا صرخ (إيمرى) بدوره مرددًا هو الآخر كلام (سامهين) ..

* * *

كان كل بيت فى البلدة يحيا حياة سوداء .. فقد توفى عائلها الوحيد ..

وكأن حربًا طاحنة قد أبادت الجميع ، أو طاعونًا ما أو وباءً قد اكتسح البلدة مستهدفًا الرجال فحسب ..

(*) تذكروا أنه لا إله إلا الله .. وأن السحر سوف ينقلب على الساحر ..

يتمت الأطفال ، ورملت الإناث ..

وأتى اليوم الموعود ....

بعد ثلاث ليال كاملة ، اجتمع الكل مرة أخرى فى تلك الساحة ..

الجميــع يقــف .. يترقــب .. ينتظــر .. يدق قلبــه بعنــف من فــرط الإثارة ..

وفى الناحية الأخرى ، وقف (ريجوس) بجانب (سامهين) ، يرقبون المقابر ، التى تم إنشاؤها منذ أيام ..

المشاعل تنتشر فى جميع الأرجاء .. الطبول تدق بشكل درامى بحت ، تجعل قلبك يدق معها .. يصرخ أحد الصبية فى أمه ، وهو يشير ناحية إحدى هذه المقابر ، ويتوارى ، خلف عباءتها :

ــ انظرى يا أماه .. لقد تحركت الأرض !!.. إن أبى سوف ...

وبترت عبارته تلك اليد المعروقة ، التى خرجت من تحت الأرض ، وبدأت فى إزالة التراب عن سطح الأرض ، ثم تبعتها اليد الأخرى ، وأخذت تفعل ما تفعله الأخرى كأنها تحفر الأرض حفرًا !!

بالطبع كان هذا حال باقى الجثث ، التى خرج بعضها بهيئته الكاملة .. لم ينقصها شىء ..

ابتسم (سامهين) ابتســامة النصر ، وأمر (إيمرى) بقــول ما أملاه عليه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فشرع الأخير يقول صارخًا :

ــ ها هم ذووكم .. قد أعادهم الإله (سامهين) بعد أن كانوا موتى .. إنه إله الموتى ..

قالها وأضاف :

ــ لقد رأيتم بأعينكم ، والآن لتقدموا له القرابين ، كى تنالوا الرضا ..

فى هذه الأثناء كانت الجثث ، التى خرجت من الأرض تسير فى تؤدة ، حتى صارت على مقربة من (سامهين) ، ثم توقفت ، وهم يصيحون :

ــ إلهنا (سامهين) .. نحن فى خدمتك ..

قالوها ، فابتسم (سامهين) مرة أخرى ، وأضاف :

ــ اذهبوا .. كل إلى ذويه ..

قالها ، فالتفت كل منهم إلى ذويه ، وبدأ فى السير إليه بذات التؤدة ..

أعاد نظره إلى (ريجوس) ، الذى ابتسم ابتسامة صفراء ، ثم أضاف دون أن تغادر الابتسامة شفتيه :

ــ المجد لك يا مولاى .. أقصد يا .. إلهنا (سامهين) .

* * *

مـى ورجـب قد عـادا !

1

فى تلك الأثناء لم يكن (هيثم) فى شقته .. بل كان فى عمله حين دق جرس الباب ، معلنًا عن قدوم زائر ..

نهضت (رباب) متجهة إلى الباب ، بعد أن تثاءبت ، ونظرت فى ساعة الحائط لتجدها الثانية عشرة ظهرًا ، فمطت شفتيها إلى أسفل فى امتعاض على مجىء ذلك السمج ، وقدرت أنه أبوهــا أو ربما زوجها (هيثم) قد عاد من عمله مبكرًا ، لكنه لم يكن ذاك أو ذاك بل كان (رجب بسطاوى) !

لم تدر ما الذى تفعله وقتها ، فقط تسمرت فى مكانها بعد أن احتبس الكلام والصراخ فى حلقها ، ثم لم تلبس أن فقدت الوعى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

حين جلس (هيثم) مع زوجته فى بيته ، وشرعت تقص عليه ما حدث لها من مجىء (رجب) الذى مات ، لك أن تصدق أنه قد وافقها فى كلامها أو لم يوافقها واعتبرها مخبولة ..

وبعد الكثير من الماء المخلوط بالسكر ، نهضت لتكمل دورة حياتها كالعادة ، وحاولت أن تتناسى الأمر برمته ..

فى تلك اللحظات دق جرس الباب مرة أخرى ..

تن تن تن ..

دق جرس الباب فى إلحاح ..

صاح (هيثم) فيها كى تستجيب ، فبادلته الصراخ من داخل المطبخ بدورها كأن شيئًا لم يحدث لها قط ..

عندئذ لم يجد مفرًا من أن يترك كل ما يفعله ، وينهض هو كى يفتحه ..

فتح الباب فوجد تلك الشابة ، ترمقه بحذر ، فأضاف متسائلاً :

ــ من ؟

ــ هل (مولاتى) ! (رباب) موجودة ؟

ــ ماذا ؟!.. « مولاتك ؟! »

قالها ، وحك رأسه الأشعث فى حيرة ، ثم أضاف :

ــ سيادتك .. تقصدين (رباب) زوجتى ؟!

ــ نعم « مولاتى » (رباب) !

حك رأسه مرة أخرى ، وصاح ووجهه للداخل مناديًا على زوجته ، التى انهمكت فى إعداد الطعام بالمطبخ :

ــ (رباب).. هنالك من يريدك ..

قالها ، ودلف إلى الشقة محدثًا نفسه ..

رمقته (رباب) ، وهى متجهة إلى باب الشقة ، فسألته قائلة :

ــ من ؟

نظر لها وهى تعقص شعرها بملعقة ، وتقلب الطعام ببنسة الشعر ، وأضاف :

ــ لا أعلم ، لكن لهجتها غريبــة .. ذكرتنى بعصــر الجــوارى ، وفيلم (وا إسلاماه)

قالها فمطت شفتيها لأســفل ، وواصلت التقدم نحو الباب لمعرفة من الزائر ..

عندها صرخت .. ولولت .. سكبت الطعام على الأرض .. ثم فقدت الوعى للمرة الثانية !!

ركض (هيثم) ناحيتها متوقعًا الأســوأ ، فوجدها ممددة على الأرض بلا حراك !

Looloo
www.looloolibrary.com

نظر إلى الخارج ، فلم يجد أحدًا .. لقد ذهبت السيدة !

جثا على ركبته ، وطــوق زوجته بين ذراعيه ، وقد تأكد من أن مسًا قــد أصابها .. عنــدها لمح القــلادة المعلقة فى رقبتها ، فأمسكها بيده غير فاهم !

* * *

3

عندما أفاقت زوجته جلست لتفسر له ما حدث لها مرة أخرى ، وأضافت هذه المرة لتقص عليه ما دار بينها من صفقة ، وبين صغيرها ، الذى تكوم على المقعد محمر الأذنين ، غير متوقعًا تلك الخيانة ..

لا داعى لأن نقول بأن (هيثم) لم يصدق حرفًا واحدًا مما قالته ، لكنه والحق يقال قد دب الشك فى قلبه ، وبدأ يرتاب فى أن فى الأمر شيئًا ما يفوق الطبيعى ..

وكل ما حدث هو أنه عندما فرغت ، نظر إلى (على) نظرة ذات معنى ، ودون كلمة أخرى ، هم ناهضًا ، متجهًا إلى غرفته ، وعائدًا بالتمثال ، ثم ناوله إلى والده منتظرًا عقابًا صارمًا منه ، لكن والده أضاف ، فى وقار مصطنع :

ــ العيب ليس منك .. بل من والدتك ، التى أعانتك على هذا ..

قالها ، فأخذ (على) يرمق أمه كاتمًا ضحكته ، لكنه لم يستطع فأفلتت منه رغمًا عنه ، فناوله (هيثم) بدوره صفعة أسكتته على الفور ..

أضاف (هيثم) بذات الوقار :

ــ كيف أعيدهما إلى الرجل .. ما الذى سأقوله ؟

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى تلك اللحظة كنت أقف أنا على الباب ، وأدق الجرس الخاص بجارى الكاتب (هيثم) ، لماذا ؟

لأننى قد ارتبت فى ذلك الملعون الصغير (على) ، ولأن (هيثم) هو أقرب جار لى .

فتح لى بوجه غاضب ، لكن سرعان ما زال غضبه وتهلل .. ودعانى للدخول ، فدخلت ..

جلست إلى أقرب مقعد ، فأضاف :

ــ أهلاً وسهلاً بك يا أستاذ (إبراهيم) .. تشرفت بزيارتك لى ..

قالها ، وهو يجلس إلى جوارى ، ويعرض على تمثالاً قبيح الشكل ، بعد أن أعاد القلادة إلى داخل التمثال كما كانت ، ويضيف :

ــ الحقيقة ، أننى .. أ .. مم .. أنه .. يخص ذلك الدكتور ..

قالها ، ثم أضاف بذات الارتباك :

ــ هههه .. إنه .. لقد أخذه (على) .. أنت تعلم الأطفال .. ثم .

« وددت لو أخبرته أن يعيد تربية ابنه ، بدلاً من أن يصير نشالاً له وزن وثقل لا بأس به فى المستقبل القريب ، لكننى لم أفعل لأدبى المفرط » ..

فقط قاطعته قائلاً :

ــ لا عليك .. لقد خمنت ذلك .. لقد طلب منى الدكتور (عبد الحميد) أن أبحث له عنه بين ســكان البناية ، وأخبــرنى أنه ذو أهمية كبيرة لديه .. على كلٍّ حمدًا لله على أننى وجدته ..

قلتها ، فأضاف هو بأسى واضح :

ــ أرجو ألا تخبره أن ابنى هو من أخذه .. لا أتمنى أن يكون هذا أول انطباع لى عنده ..

ــ لا تقلق سوف أخبره .. آ .. أقصد لن أخبره .. سوف أبحث عن أية طريقة أوصل له بها ذلك الشىء دون أن أضع نفسى فى موقف محرج أو أضعك فى موقف محرج ..

ترررن ترررن ترررن ..

دق جرس الهاتف الخاص به فى إلحاح ، فتناوله ، بعد أن اعتذر لى ، ودارت محادثة بينــه وبين شخص ما يدعى شــينًا ما ثم (عبد الكريم) ، ثم أغلق الســماعة ، وعــاد لى ، وهو يعاهدنى ألا أخبــر (عبد الحميد) بما حدث .

فعاهدته ، ونهضت مغادرًا شقته .. مفكرًا فى طريقة ما لإعادة ذلك التمثال دون مشكلة ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

عــزاء واجــب ..

1

لم يمر الكثير حين دق جرس شقتى ، معلنًا عن قدوم (هيثم السلحدار) ، الذى دلف إلى الداخل ، وهو يحمل على وجهه أعتى علامات الأسى والبؤس ..

أشــرت له كى يتفضــل بالجلــوس ، فــلم يكــذب خبــرًا ، وبــدأ ينشــج !

جلست بدورى غير فاهم ، وأضفت :

ــ ما الذى حدث ؟..

ــ هئ هئ ..

ــ قل لى هل حدث لك مكروه أو لأحد من عائلتك ؟

ــ هئ هئ .. لأ ..

ــ إذن لماذا ... ؟!

قاطعنى قائلاً :

ــ إن .. هئ هئ .. (سيد) .. هئ .. (عبد الكريم) قد انتقل إلى رحمه الله !! هئ هئ ..

كدت أن أطلق صرخة مدوية ، وأشرع بعدها فى الولولة ، لكننى تذكرت للحظة أننى لا أعرف من هو (سيد عبد الكريم) هذا .. فسألته فى حذر حتى لا أخدش مشاعره :

ــ عذرًا ومن هو (سيد عبد الكريم) ؟

نظر لى فى حنق ، كأننى من الواجب على أن أعرف (سيد عبد الكريم) ، وأضاف :

ــ إنه جارنا .. وهــو كذلك الشخص الذى كــان معى على الهاتف منذ قليل ..

قالها .. فبدأت أستعيد الذاكرة ، وأقلب قاطنى البناية من اليمين إلى اليسار داخل رأسى باحثًا ، لكن لا شىء ، لا يوجد بها (سيد عبد الكريم) هذا ..

نظرت إليه ، وخشيت أن أسأله ، فأردفت :

ــ يا له مــن شخص طيب .. لقــد فقــدنا أرق إنســان فى العمــارة بأكملها !

يا لنا من تعساء الحظ !

أعاد نظرته الحانقة مرة أخرى ، وهو يضيف :

ــ إنه ليس من قاطنى بنايتنا ، إنه يقطن فى عمارة مجاورة ، لكنه كان صديقًا وفيًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

نظرت إليه ، وكدت أن أقول له : وما شأنى أنا بهذا ، ثم ما سر تلك الزيارة ، وهل هى بسبب موت (عبد الحليم) هذا أم لشىء آخر ؟ لكننى عدلت عن رأيى واحتفظت به لنفسى ..

ــ ســـوف نسافر غـــدًا إن شاء الله إلى قريتى ، وســـوف نمكث هناك أسبوعًا أو أكثر ، لقد علمت أن جدى قد أضناه المرض ، وربما يموت ، ويريد أن يرانى أنا وعائلتى ..

قالها ، ثم أضاف :

ــ وبالطبع سوف نترك شقتنا ..

ــ فهمت فهمت .. لا عليك .. سوف أطل عليها من وقت لآخر ..

« الآن فهمت كل شىء .. »

قلتها وأضاف :

ــ بالطبع سوف تحضر العزاء .. إنه واجب .. أليس كذلك ؟

قالها ، وأضاف :

ــ سوف أمر عليك لنذهب سويًا .. سوف ينصبونه هناك .. فى الشارع الخلفى ..

ــ حسنًا .. حسنًا ..

نهض من على مقعده وهو ينشج ، كأنما تذكر فراق (عبد العليم) ، وأضاف :

ــ سوف أمر عليك .. لا تذهب إلى أى مكان ..

ــ « يا لك من علقة ! » .. حسنًا اتفقنا ..

قلتها ، وانصرف ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً .. ﴾

أجلس فى صوان العزاء ، لا أعرف أحدًا تقريبًا إلا (هيثم) ، الذى تكوم إلى جوارى وأخذ يبكى فى حرارة ..

ومن مكان ما اندلع صوت المقرئ ..

﴿ .. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي .. ﴾

« صدق الله العظيم »

نظرت إلى هيثم ، وأضفت :

ــ سوف أنصرف ، هل تريد شيئًا ؟

نظر لى ، وما زال يبكى ، وأضاف :

ــ أنت لا تعلم .. ما كان يمثله لى (سيد) ..

كدت أقول له « ولا أريد أن أعلم » ، لكننى أضفت :

ــ هذا هو حال الدنيا ، وكلنا سوف نفترق .. فأحب من شئت فإنك مفارقه لا محالة ..

عندها لمحت المقرئ يتناول من أحــد ما لفافة تبغ ، ثم شرع فى تدخينها !

وآخر بدأ فى توزيع لفافات تبغ مــن علبته الخاصــة ، كأنه فى حفل زفاف !

يا للأسى !

« فى كثير من الأحيان أشعر أننى قادم من المريخ ، ولابد لى من مائة سنة كى أتعرف على طباع هؤلاء البشر » ..

على كلٍّ ربت على كتف (هيثم) ، وهممت بالانصراف ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

حـادث عـابر ..

1

لا أعلم كم مر من الأيام ، بعد وفاة (عبد اللطيف) .. حين دق جرس الباب الخاص بشقة (هيثم) باستمرار معلنًا عن قدوم شخص ما !

نهضت متثاقلاً من تحت الغطاء واضعًا قدمى فى خفى ، وذهبت كى أرى من القادم ..

أضأت المصباح الكهربى ، الخاص بالسلم ، ونظرت من العين السحرية الخاصة بباب شقتى ، كى أتبين القادم .. « بالطبع لن يكون (هيثم) لأنه لو كان هو لما طرق الباب .. بل كان سيولج مفتاحه فى بابه ويدلف دون ذلك الإزعاج ، الذى كان جديرًا بأن يوقظ سكان البناية بالكامل ..

للحق لم أتبينه جيدًا ، مجرد شخص ما أصر على دق الجرس ، حتى يفتح له أى أحد ..

فتحت الباب ، وأضفت :

ــ يا أستاذ .. من تريد ؟

التفت إلى ، وهو يبتسم ، ويضيف فى حذر :

ــ سيدى (هيثم السلحدار) لقد دعانى !

« يا لهذا (الهيثم) .. كيف يدعو الناس لزيارته فى شقته ، وهو خارجها » ..

قلتها فى نفسى ، لكن هل لاحظت ذلك !

ذلك الغريب ملابسه ، وهندامه ينمان على أنه قد غادر قبره الآن !

أثار الوحل على كل رقعة فى جسده وملابسه .. لا تقل لى من فضلك أن هذا بفعل الأمطار ، إلا إذا كانت السماء تمطر وحلاً !

ابتسمت للزائر ، وأضفت متعجبًا :

ــ إنه ليس هنا .. لكن ملابســ ...

قاطعنى قائلاً :

ــ سوف أعود له مرة أخرى ..

أضفت أنا وقد تخطيت موضوع منظره البشع هذا متعمدًا :

ــ عندما يأتى أقول له من ؟

نظر لى ، وعلى وجهه ذات الابتسامة ، وأضاف بتؤدة :

ــ (سيد عبد الكريم) !!

قالها ، ثم انصرف هابطًا الدرج ..

دلفت إلى شقتى ، وأنا أفكر فى ذلك الاسم .. إنه يبدو مألوفًا لى ، لكن أين سمعته ؟ ، لا أدر !!

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

صـديقى اللـدود ..

1

ــ حقيقة أنا لا أعلم كيف يمكنك أن تعيد ذلك التمثال إلى جارك هذا دون أن تثير الشكوك تجاه ذلك الكاتب المغمور ..

قالها (سعيد) صديقى ، الذى تعرفونه جيدًا ، ثم أضاف ، وهو يحك رأسه :

ــ ربما لو .. استطعت أن تلقيـــه فى شقته دون أن يراك .. تخبئه .. مثلاً ..

لكزته فى كتفه ، وأنا أضيف :

ــ إنها حقًا لفكرة رائعة .. وعندئذ سيدرك أنه لم يبحث جيدًا ، وأنه لم يتم سرقته منذ البداية ..

ــ نعم هو ذا ..

* * *

فى الغرفة المجاورة ، كانت ابنة (سعيد) تعبث بذلك التمثال ، وتخرج منه تلك القلادة ، وتدسها فى حقيبـــة يدها ، وتعيـــد التمثال إلى الرف كما كان ، بعد أن نادى عليها والدها من الخارج كى يهموا بالانصراف .

* * *

بدورى أخذت أنا التمثال الفارغ من الداخل ، وصعدت به إلى حيث الدكتور (عبد الحميد) ..

وفعلت ما أملاه على (سعيد) بالحرف الواحد ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

دلفت (أميمة) زوجة (سعيد) إلى غرفة (هدير) كى تطمئن عليها ، فوجدتها تغط فى سبات عميق ، أمسكت الملاءة لتغطيها ، فلمحت تلك القلادة غريبة الشكل ، المعلقة بين عنقها !

أمسكتها متفحصة إياها ، ثم حررتها من بين عنقها ، وهى تضيف :

ــ هكذا إذن .. تأخذ ابنتك ، وتخرجان ، ثم تبتاع لها تلك القلادة .. أما أنا فأمكث كالخادمة فى المنزل .. سوف أريك أيها الـــ (سعيد) أنت ميت لا محالة !

لا داعى كى أخبركم أن تلك الكلمات قد تحققت بالحرف الواحد !

كيف ؟ سأخبركم ..

* * *

خرجت (أميمة) من غرفة (هدير) وهى متنمرة ، تشمر عن ساعديها ، وتضغط على أسنانها .. ولابد أنها أطلقت زئيرًا .. واتجهت إلى غرفة النوم حيث زوجها (سعيد) ..

وثبت فوقه وثبـــة تذكرك بالأسود وهى تنقض على فريستها ، وأخذت تصرخ فيه ، وهى تلكزه بكفيها :

ــ انهض أيها الرجل .. سوف ...

لكن قاطع غضبتها هذه عدة أشياء ..

أولهما أن زوجها لم يطلق شخيرًا كعادته وهو نائم !

ثانيهما أنه يرقد بلا حراك فعلاً !

ثالثهما أنه صار باردًا كالثلج !

رابعًا لأنه مات !

* * *

لم تدر ما الذى تفعله ، سوى .. إطـــلاق سارينة إنذار ، كانت كافية بإيقاظ الموتى ، لكنها لم توقظ (سعيد) .. وكذلك لجلب السكان المجاورين ، إلى حيث هى ..

ركضت عبر جنبات الشقة ، واتجهت إلى الباب ، وفتحته ..

وسرعان ما عجت الشقة بحشد لا بأس به من الأناس المتطوعين دائمًا .. ربما كان بعضهم مـــن الجيـــران ، ونصفهم مـــن الباعة ، والكثير من المتسولين ..

وشرعت تقص عليهم ما حدث لها فى عجالة ..

وتبرع أحدهم بأن أمسك هاتفه ، واتصل بأحد الأطباء ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

ـ لقد مات ..

هكذا أتت نتيجة الفحص ، وهكذا انطلقت الصرخات المدوية من كل حدب وصوب ، البعض حقيقى ، والبعض الآخر مجاملاً ..

وهكذا اتصل بى أحدهم ليبلغنى بموت أعز صديق لى ..

* * *

لن أستطيع أن أصـف لكم ما شعرت به فى تلك اللحظـة .. لأنها لا توصف ..

لقد عاودنى الشعور عند فقدان زوجتى وابنتى رحمهما الله ..

دعوت الله أن يرحمه ، ويلهمنى وذويه الصبر والسلوان ..

وذهبت وحضرت العزاء ..

* * *

سعيد قد صار زومبى ..

1

أرقـد فى فراشى مستشعرًا ذلـك الدفء ، اللذيذ ، الذى يشـعر به الشخص عنـدما يدفن قدمه فى جـورب فى يوم سـقيع .. ثم يدلف تحت الفراش ..

أطفأت جل المصابيح ، وشرعت فى النوم ..

تك تك تك ..

عندها دوت الدقات على الباب فى حذر !

نهضت رغمًا عنى ، وذهبت كى استجيب ، بعد أن رمقت ساعة الحائط بطرف عينى ، لأجدها ما زالت العاشرة والنصف مسـاءً .. أضأت نور الصالة ، وكذلك المصباح الكهربى الخاص بالسلم ، ونظرت عبر العين السحرية ، وفتحت الباب ، وأنا أتثاءب ..

أووووو ..

عنـدما لمحت الزائر قطعت التثاؤب .. ووقفت صامتًا كأننى قد صرت أبكم !

لماذا ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

لأن الزائر كان (أميمة) زوجة (سعيد) رحمه الله ، وبصحبتها تلك الطفلة ، التى أخذت ترمقنى ووالدتها بتشكك ، لا ريب فيه .. هذا بالإضافة إلى أنها تمقتنى بشدة كما أعلم بلا ريب فى ذلك !

وقفتا مبللتين الثياب ، وترتعدان كذلك !

ــ عذرًا .. أنا آسفة ..

قالتها فى تردد ، وحذر ، ثم أضافت ، بذات اللهجة :

ــ لقد أتيتك ، لأنك الوحيد الذى أعرفه ، ولأن زوجى رحمه الله كان يثق بك كدت أسألها عن والدها ، لكنها أضافت ، وكأنها علمت ما يدور فى خلدى :

ــ والدى لن يصدقنى .. بالإضافة إلى أنه رجل مسن ، على أعتاب الموت .

نحيت نفسى جانبًا ، وأنا أشير بيدى إلى الداخل حيث دفء شقتى ، وأضفت مترددًا :

ــ تفضلى ..

قلتها ، وأضفت :

ــ هى تمطر بالخارج ؟

ترددت ، وانتفضت من البرد ، ثم دلفت إلى الداخل بخطوات حذرة .. وهى تضيف :

ــ نعم هى كذلك ، لكن الأمر جلل صدقنى ..

ــ ماذا هنالك ؟

قلتها ، وقد شعرت بتلك الرجفة تسرى فى قفاى .. وقد نجحت لهجتها كذلك فى إثارة توترى بالفعل .. فما الذى يدفع سيدة كهذه إلى مغادرة شقتها فى ذلك الطقس السيئ هى وطفلتها الصغيرة ، إلا إذا كان الأمر شديد الخطورة بالفعل ؟!

أضافت من بين أسنان تكاد تحطم بعضها من شدة الضغط ، وترتعد كذلك من فرط البرودة :

ــ (سعيد) !

ــ رحمه الله ..

ــ لقد عاد !

ــ ماذا ؟!!

ــ هذا ما حدث .. أقسم لك !

« بالطبع لن أخبرها أننى تمنيت الآن لو أننى ما نهضت ولا فتحت الباب لها .. أو أخبرها بأنها قد صارت على أعتاب الجنون بعد فراق زوجها لها .. أو لا سمح الله أننى سوف أنهض وأطلب لها السرايا الصفراء » ...

قاطعت أفكارى السوداء ، وأضافت :

ــ أعلم أنك تظننى مخبولة .. وتشكك فى قواى العقلية .. أعلم هذا .. لكن أقسم لك للمرة الثانية أنه قد زارنى فى شقتى .

ــ ثم ؟

ــ انصرف !

ــ مدام (أميمة) أعلم أن فراق (سعيد) له وقع صادم عليك ، لكن الموتى لا ينهضون كذلك وعلى كلٍ .....

Looloo
www.looloolibrary.com

قاطعتنى ناهضة وصارخة كذلك :

ــ إنه خطئى ، أننى قد وثقت بك وقلت : إنك ستساعدنى .. لقد كان (سعيد) يثق بك ..

قاطعتها أنا هـذه المرة ، بعـد أن لمحت القـلادة المتدلاة من عنقها ، وقـد نجحـت كلماتهـا كذلك فى أن تشـعل بداخلى المـادة الفعـالة للرجولة :

ــ حسنًا .. اجلسى وقصى على ما حدث بالتفصيل ، لكن قبل أى شىء ، أود أن أسألك سؤالاً واحدًا .. وعذرًا أن وجدتيه غريبًا بعض الشىء .

ــ تفضل .

قالتها ، وقد تبدلت قسمات وجهها للاستغراب ، فأضفت أنا :

ــ من أين حصلت على تلك القلادة ؟

وهكذا وجدتها تتقدم أكثر إلى الداخل هى وطفلتها ، دون أن تتخليا عـن حذاءيهما ، الذى صنع لوحة فنية بشعة المنظر من الأوحال على سجادتى دون مبالاة .. ثم جلستا ، بعد أن أضافت (أميمة) :

ــ لا أعلم ما أهمية ذلك السؤال أو ما دخله فى ما نحن بصدده ، لكـن ما دمـت ــ أردت ذلك .. إنه (سـعيد) رحمـه الله ، لقـد أحضرها إلى (هدير) ، فأخذتها أنا منها ، وارتديتها .

نظرت إلى (هدير) وأنا أعلم أنها لا تطيقنى بالمرة ، لكننـى مـضطر لذلك ، وأضفت متسائلاً :

ــ من أين أتيت بها يا (هدير) ؟

ــ .....

لم تنطق ببنت شفه .. فقط صمتت ، واضعة يدها على فيهـا ، وهـذه حركة لا إرادية تدل على أنها سوف تكذب إن تحدثت ..

فأضافت والدتها ، وهى تحنو عليها :

ــ أليس بابا هو من أتى بها إليك يا حبيبة ماما ؟

ابتسمت (هدير) فى بلاهة ، ثم أضافت :

ــ لقد أخذتها من عمو هذا ..

قالتها وهى تشير ناحيتى !

نظرت لها والدتها فى تعجب ، فأضفت أنا مبتسمًا :

ــ لقد خمنت ذلك ، فهذه القلادة تخص الدكتور (عبد الحميد) جارنا .

« وقد كدت أن أخبرها أن ابنتها قد سرقتها ، لكننى عدلت عن ذلك » ، وأضفت :

ــ على كلٍّ أرجو منك يا مدام (أميمة) أن تقـصى علـى مـا حـدث بالتفصيل .. بالتفصيل .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

« ســوف أعفيك من ذلك الجــزء الخاص بارتدائها القــلادة ، وموت (سعيد) ، لأنك قرأته منذ قليل ، ولنبدأ منذ ممم ..... »

كنت وقتها أعد طعام الغــداء ولم يكن بالبيت غيرى .. فأبى فى حانوته الذى لا يفارقه إلا وقت الغداء، وهدير فى المدرسة .. عندما دق جرس الباب باستمرار وإلحاح ..

تركت ما كنت أفعله ، وذهبت لأفتحه ..

عندها رأيته .. رأيت (سعيد) زوجى بشحمه ولحمه وكامل هيئته ، إلا أنه قد تلطخ بالأوحال !

لم أتمالك أعصابى أو لم أدر ما الذى أفعله سوى أن أصرخ وأصرخ حتى غبت عن الوعى تمامًا ..

* * *

أفقت على صوت الجيران ، الذين التفوا حولى فى فضول ، وبعضهم طلب لى جرعة من الماء ..

وتبرع أحدهم وسألنى .. أن ما الذى حدث ؟

سعيـــد ....

كدت أن أخبرهم بما حدث ، لكننى عدلت عن ذلك .. لا أعلم لما ، لكننى قدرت أن ذلك أفضل ، لكننى طلبت من أحدهم أن يبحث فى كل ركن فى الشقة عن أى شىء غريب ..

فنظر لى فى تعجب ، وانصرف كى يفعل ما طلبته منه غير قانع .. لكن على الأقل لن ينعتنى الجميع بالخبال أو الجنون أن لم يجدوا دليلاً على كلامى ..

وبالطبع لم يجد ما يثير الفزع أو الريبة .. فشكرته وشكرت الجميع ومن ثم انصرفوا ، وبعضهم يصفنى بأوصاف لا داعى لذكرها ..

لكنى كنت متأكدة أن ما حدث قد حدث !

نظرت لها بعد أن فرغت من حديثها ، ثم أضفت :

ــ حسنًا هذا كل ما حدث ؟

ــ نعم .

نهضت ، وقطعت الغرفة جيئة وذهابًا ، ثم أضافت بعد أن أحضرت قلمًا وورقة ، وناولتهما إياها :

ــ أرجــو منك أن تخطى لى عنــوان مقابر عائلة (سعيد) رحمه الله ها هنا !

تناولت الورقة والقلم بدورها منى ، ثم بدأت تخط بالفعل العنوان .. ثم أعادتهما لى ، وهى تضيف فى دهشة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لكن .. لما ؟!

ــ كى أتأكد من شىء ما .

قلتها ، وهمت هى بالمغادرة ، فأضفت ، وأنا أدلف إلى داخل حجرة نومى كى أبدل ملابسى ، وأهبط معهما :

ــ دعينى دقائق ريثما أبدل ثيابى ، وسوف أتى معكما كى أوصلكما ..

صاحت قائلة « وقد تذكرت أن الوقت قد تخطى الثانية عشرة صباحًا .. أى بعد منتصف الليل » :

ــ أن الوقت قد .. تأخر كثيرًا .. وربما .. مم .. لا أعلم .

قاطعتها وقد علمت ما الذى ترنو إليه :

ــ حسنًا كما تريدين .. لقد كنت أود أن .. لكن على راحتك .. تفضلى .

ــ شكرًا لك على كل شىء ..آه نسيت ...

قالتها ، وهى تعود أدراجها إلى الباب ، الذى اجتازته ، وهى تحرر القلادة من رقبتها ، وتضيف :

ــ القلادة ، لقد نسيتها .

تناولتها منها ، وأنا أضيف :

ــ شكرًا لك ، سوف أعيدها إلى مالكها .. ولا تشكرينى على شىء ، فهذا واجبى .. وأرجو منك إن حدث لكما أى شىء ، أو احتجتما أى شىء أن تتصلى بى .

قلتها ثم أضفت :

ــ فى أى وقت كان .

ــ أشكرك مرة أخرى يا أستاذ (إبراهيم) .

ــ لا داعى لهذا ..

قلتها ، وهى تغادر الشقة ، هابطة الدرج ، وفى يديها تلك الطفلة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

عـم عبد العال التربى ..

1

والآن تعالوا معى لنذهب سويًا إلى المقابر .. سوف نسير فى طريق طويل يحيطه من كل جهة تلك الأحواش .. بعضها قديم ، تشعر أنه سوف يسقط عليك الآن .. وبعضه قد طلى بطلاء قد غادره الإتقان .. وفى ذلك الـ ... لا أعلم ما الذى يطلق على ذلك المكان ، لكن لنطلق عليه غرفة صغيرة ، أو كوخًا ، أو .. أيًا كان اسمه ، فهذا المكان هو الذى يقبع فيه (عم عبد العال الأسيوطى) وسط القبور ليمنع سرقتها من اللصوص المتوفرة بكثرة هذه الأيام ..

الحاج (عبد العال الأسيوطى) .. أسمر ذو ملامح صعيدية مميزة ..

يقترب مــن الخمسين من عمــره .. حصل على دبلوم فى .. مم .. لا يذكر ..

عمل حدادًا .. ثم مبيض محارة .. وبعد ذلك عمل حانوتيًا أو تربيًا كما يحلو له أن يطلق على تلك المهنة (تربى) .. وليس مساعد تربى ، لأن التربى معلم لا يفعل شيئًا بيديه ، فمن يفعل كل شىء هو مساعده .. لذا فهو يعتز بنفسه بشدة ..

منذ متى بدأ تلك المهنة ؟

منذ أن توفى أخوه رحمه الله ..

يبتسم ، مفصحًا عن أسنان نخرة مرعبة ، وهو يزفر دخان النرجيلة الموضوعة أمامه ، فى تلذذ .. ثم يسعل بقوة .. ويقول :

ــ عندما توفى أخى رحمه الله هبط مع والدى إلى داخل القبر ومن ثم دفنته .. ومن وقتها وأنا لم أفارق تلك المهنة ..

يضع برادًا قذر الشكل صدئ على موقد من الفحم والخشب ..

الحقيقة أن ذلك الموقد البدائى يبعث الدفء فى أوصاله ، ويجعل للشاى طعمًا آخر (هكذا يقول) .. بعد أن يملأ كفه بحفنة من الشاى ، ثم يلقيها بداخل البراد ..

ثم يضيف بتؤدة مرددًا كلمات الشاعر (مرسى جميل عزيز) ، التى يسمعها من المذياع المتهالك على رف خشبى بجانبه ..

« عاوزنا نرجع زى زمان قول للى مات ارجع قوام ! »

يقولها كأنها كلمات أسطورية لم ينطق بها أحد قبله أو بعده .. مضيفًا لها عدة كلمات من عنده .. ثم يضحك ويسعل ، ويسعل حتى تكاد روحه تغادر جسده .. ويضيف بعد أن تهدأ شعبه الهوائية قليلاً :

ــ لا تؤاخذنى يا أستاذ .. فأنت تعلم أن كل من يعمل فى تلك المهنة قد طاله المرض .. إما درن أو حساسية .. أو سـل .. لكنها ثـواب على كل حال ، ومهنة نقتات منها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ابتسمتْ مواسيًا ، وأضفت :

ــ يا حـــاج (عبد العـــال) لقـــد أتيت لك بخصـــوص حوش أولاد (الدمنهورى) ..

ينظر لى بعين زائغةً ، ثم بصوت مبحوح ، يضيف :

ــ يا بنى إن المقابر عالم مليء بالحكايات والغموض .. منها الحقيقى ومنها الأساطير .. لكننى رأيت ذلك بعينى التى سيلتهمها الدود ..

يمسك بكـــوب صغير ، ويضع فيـــه القليل من السكر ، ويلتقط البراد الممتلئ بالشاى المغلى ، ويسكبه داخل الكوب ، ويقلبه .. ثم يرشف رشفة من كوب الشاى ، ويضيف :

ــ سوف أقص عليك ما حدث بالتفصيل يا أستاذ ..

* * *

2

وقتها كنت أتبوأ مكانى وسط القبور .. كان الجو باردًا حقًّا ..

كنت أجلس مثل تلك الجلسة تقريبًا .. عندما سمعت طرقات بالقرب من حوش أولاد الدمنهورى !!

نهضت متثاقلاً تاركًا كل شىء ، فأنت تعلم أن لصوص المقابر كثر هذه الأيام ، لكن الشىء الغريب أن مصدر تلك الطرقات كان آتيًا من داخل الحوش وليس من خارجه !

ــ هل ترى تلك العين ؟

قالها مشيرًا على كوة مستقرة داخل جدار من الجدران المتراصة إلى جوار بعضها البعض ..

فأجبته : أن نعم .. فأضاف :

ــ هذه هى .. لقد كان الدق صادرًا من داخلها !

شروووووووووووف

رشف من كوب الشاى الأسود الساخن ، ثم أضاف :

ــ بالطبع كانت الطرقات واهنة .. ليست بالعالية كذلك ، لكن أنت تعلم .. أن من هم بهذه المهنة يجب أن يكون .. هههههههه .. مرهف السمع .. حتى لا يدفن أحدًا بالخطأ .. فأنت تعلم أن هنالك ما يسمى بغيبوبة السكر ،

Looloo
www.looloolibrary.com

وما شـــابه ، فتشخيص المـــوت أيضًا ليس بتلك الســـهولة التى يقرها ويقررها طبيب .. لذا عندما سمعت تلك الدقات ، ركضت ناحية الجدار ، وأرهفت السمع ، لأتأكد ، وبالفعل كانت صادرة من خلفه ..

ــ وماذا فعلت يا حاج ؟

ــ صبرًا بالله يا بنى .. بالطبع لم أفتح القبر أو أنزله وحدى .. خاصة فى تلك الساعة .. هرولت إلى القهوة التى بها (جلال) .. صبى قهوجى هو ..

وناديته ، وأخبرته فى عجالة عما حدث ، فترك ما يفعله ، وهو لا شىء ، لأن تلك الساعة المتأخرة لا يأتى إليه أحد تقريبًا خاصة لموقع القهوة المتميز ، وسط القبور ..

ذهبنا سويًا إلى الحوش ، وأشرت له عليه ، فبدأ يستمع هو الآخر ، وتتسع عيناه ، ثم أضاف :

ــ لابد أنه يحاسب الآن .. وهذا صوت الضربات على جسده .. أو ربما تلك هى العفاريت التى يقولون عنها ؟!

نظرت له ، وأضفت :

ــ يا لغباءك !.. إن ما تقـــوله يسمى برزخًا .. وليس لنـــا أن نسمعه أو نراه .. وإن وقفت تفسر ما يحدث بالداخـــل ، فســـوف يموت الرجل ، الذى لم يمت بعد ..

قلتها له ، فخلع ثيـــابه أو جلبابه ، كأنه كان يعيقه عن الحركة ، وأمسك بالمفاتيح التى أحضرتها له ، وأمســـكت أنا بعـــود من النقاب و« شلييييييييك » ..

أشعلت العود وقربته من لمبة الجازولين ، وعلى ضوئها المتراقص بدأ فى فتح القفل الصدئ ، وبعدها فى إزاحة الأحجار المتراصة فوق بعضها البعض ..

وفتحنا العين .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

شروووووف

لك أن تتخيل أى رعب قد ألم بنا ، عنـــدما وجدنا ذلك الرجل يجلس متكومًا فى ركن القبر ، يدس رأســـه بين ركبتيـــه .. والكفـــن ملقى بعيدًا عنه !

ــ يا الله .. وماذا فعلت يا حاج ؟

ــ هرول (جـــلال) صارخًا وهـــو يبسمل ويحوقـــل ، ومرددًا أيضًا « إنها لمعجزة » ، والميت قد نهض من ميتته ، إنه ولى من أولياء الله الصالحين .

ــ هههههه ..

ابتسمت ، وأضفت :

ــ هكذا إذن .. يتم خلق الدجالين ..

ــ بالفعل يا بنى ، لكن دعنى أكمل فحسب .. بالطبع قربت الضوء منه فى حذر ، وعلى ضوئه المتراقص ، لمحت عينيه ..

أقسم لك يا بنى إننى يمكننى أن أعرف تلك العين التى تطل على الحياة ، والأخرى التى ليست كذلك ..

ــ وبالطبع عينا (سعيد) لم تكن سوى الأخرى ..

ــ نعم .. أستاذ (سعيد) هذا لم أر فى عينيه سوى .. الموت !

عندئذ ، لم يتفوه سوى بكلمتين مولاتى (أميمة) !

لم يمر سوى دقائق ، ووجدت جمع لا بأس به قد التف حولى ، ليرى ذلك الميت الحى ..

دس أحدهم نفسه داخل الكوة ، ليدلف إلى (سعيد) ، ومد آخر يديه بمعطف إلى داخل الكوة ، فدثر به (سعيد) ، وبدءوا فى إخراجه ..

ــ وبالطبع لم يتفوه هو إلا بذات الكلمات ..

ــ نعم مولاتى (أميمة) .. حاولت أن أتصل بأى أحد ، لكن لم أتوصل إلى أحـــد ، جعلتـــه يبيت عنـــدى فى غرفتى هـــذه .. وفى الصباح عندما استفقت ، لم أجـــده .. لقـــد غادر وأنا نائم ، إلى أين ؟.. لا أعلم .. صدقنى .. يا أستاذ إلى الآن لا أعلم أين ذهب .. هل أتى إليكم ؟

ربت على كتف الرجل ، ونهضت شاكرًا ، وأنا أضيف منصرفًا :

ــ نعم .. هو ذا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

عبد الحميد الششتاوى ..

1

(عبد الحميد الششتاوى) .. أو الدكتور (عبد الحميد الششتاوى) كما يحلو له أن يلقب نفسه ويلقبه الناس .. فهو دائمًا ما يقول :

« لم أدرس كى أظل عبد الحميد » ..

أصلع .. ممتلئ .. عيناه خضراوتان ، ويرتدى عوينات ..

حاصل على دكتوراه فى الآثار من جامعة (.....) إحدى جامعات أوروبا ، الراقية ، بأساتذتها الراقين المهذبين كذلك .

أمضى نصف عمره تقريبًا بالخارج ، ثم عاد إلى بلده مصر ، واستقر فى عمارته التى كان يقطن بها قبل مغادرته بحى المقطم ..

الرجل باختصار شديد يحيا بين كتبه ، وأبحاثه .. ليس اجتماعيًا ، لكنه ودود بما يكفى ..

إن دلفت إلى غرفة مكتبه ، ســوف تجــد أن طلاءها الكتب المتراصة بجانب بعضها البعض .. المكان بأثره تقريبًا عبــارة عــن مكتبة من المجلدات التى تتحدث عن التاريخ ، والآثار ، والحضارات التى اندثرت ، وغير ذلك ..

وهناك أيضًا عدة تماثيل وتحف حجرية ، وبرونزية ، قد تناثرت فى كل أرجاء الغرفة ..

وهنا على ذلك المقعد الجلدى يمكنك أن ترى (عبد الحميد) وهو يجلس فى شرود ، يدخن لفافة من التبغ ببطء ، ينفس دخانها فى الهواء .. متفحصًا القلادة ويضيف :

ــ ما هذه ؟

ــ ماذا ؟ .. أنت خبير الآثار ولست أنا ..

ــ أقصد من تخص ؟

ــ إنها تخصك ..

قلتها ، وأخذت أقص عليه ، ما حدث تفصيلاً .. منذ أن تم سرقة التمثال منه حتى وفاة (سعيد) صديقى ، وزوج (أميمة) وعودته إلى الحياة ، وكذا ذهابى إلى المقابر وتأكدى مما حدث ..

ما أن فرغت حتى تنهد ، مضيفًا :

ــ وأنت تعتقد أن ما حدث لــ (سعيد) له علاقة بتلك القلادة ؟

نظرت له ، ثم أضفت غير متأكد ، فربما كنت مخطئًا ، وأصبحت حينها فى نظره مخبولاً وأبله لا محالة :

ــ بالطبع أنا لا أقصد ذلك ، لكننى فقط أريد من سيادتك أن تخبرنى عنها وتحدثنى عن تلك الحضارة ، التى تنتمى إليها تفصيلاً.

Looloo
www.looloolibrary.com

قلتها وشرع هو فى قراءة ما تم نقشه على تلك القلادة ، بعد أن أطمئن لسلامة عقلى :

ـ اف التيتيالال اسها الهاوى اغيدزيتا ويا الأغريكا أدى الأمويتيا أما أساامها أغريكاين !..

صمت كى يلتقط أنفاسه ، ثم أضاف متسائلاً :

ـ ما هذا ؟!

كدت أن أنتزعها من يديه ، وأحطمها على رأسه ، لكننى أضفت فى تأدب :

ـ لم ندرس الآثـــار فى أوروبـــا كى أخبـــرك بتاريخها يا دكتـــور (عبد الحميد) .. ثم إنك تستطيع قراءتها ..

أعاد نظره إلى القلادة ، ثم أضاف :

ـ إنها لغة ما .. على ما يبدو أنها .. ممم ... (اللغة اللاتينية أو ربما الكورنية) .

ـ ماذا ؟

قلتها ، فأضاف دون أن يلتفت إلى :

ـ هى إحدى لغات الكلت ، وهى من اللغات الميتة ، أو كذلك اعتبرت لفترة ، لكن قامت عملية إحيـــاء لتلك اللغـــة فى بداية القـــرن العشرين

نتج عنها 2000 متحدث بطلاقة عام 2008 تقريبًا ، لكن هذه اللغة تختلف قليلاً ، لكنها هى كما أعرفها ..

على كلٍّ اتركنى بعض الوقت وســـوف أخبـــرك بتاريخها تفصيلاً إن شاء الله ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

وانقلب .. السحر على الساحر ..

1

نعود مرة أخرى إلى ذلك الزمان السحيق ..

هذه المرة نجد بعض الجنود تهرع هنا وهناك .. والكثير من هؤلاء القوم ، الذين قد غادروا قبورهم منذ أيام ، قد انتشروا فى جنبات القصر ، الخاص بـ (سامهين) ، الـذى توارى خلف أحـد الأبـواب السميكة ، يرتعد ، ويصرخ فى جنوده أن يمنعوا تلك الأشياء من الولوج إليه ، ثم ينظر إلى (إيمرى) ، الذى أمسك سيفه ، ووقف مستعدًا لتلك المخلوقات ، ويضيف :

ـ أين ذلك الرعديد (ريجوس) .. كيف انقلب على هؤلاء ؟

ينظر إليه (إيمرى) بدوره ، ويضيف :

ـ لقد اختفى .. لابد وأنه كان على علم بالأمر ففر هاربًا .. لقد أخذ ما أمرتنا بأن نعطيه إياه من أموال ، ثم رحل بعدها ..

ـ الخائن .

تررررررااااااااااااااااك .. ترااااااااك ..

الطرقـات ، والضربات ، تتزايد ، وتنهـال ، على البـاب الذى يفصل (سامهين) ، و(إيمرى) عن هؤلاء الأناس ، فيصرخ (سامهين) للمرة الألف :

ـ أين جنودك أيها الرجل ؟

ينظر له (إيمرى) ، ثم يضيف بحنق واضح :

ـ لقد مات أكثرهم ، وأنت السبب !

قالها ، فنظر إليه (سامهين) تلك النظرة ، التى تحمل مئات المعانى ، وأوضحها (حتى أنت يا بروتاس) ، ثم يضيف :

ـ أنا .. ألم تكن معى منذ البداية ؟

عنـدئـذ تـرك الاثنـان حـراسـة البـاب ونسـوا حـذرهـم ، و« تررررااااااااااك »

انفتح الباب على مصراعيه ، ليتدفق الحشد إلى الداخل ..

أمسـكوا بـ (إيمرى) الذى أخـذ يطـوح بسيفه يمينًا ، ويسارًا ، ثم يمينًا ، كان السيف حادًا بالفعل ، فمن طاله نصله بقَرَ بَطْنَهُ ، أو أطاح برأسه ، لكن هؤلاء القـوم ، كانوا كالموتى ، لا يعـون ذلك ، وكان كل مبتغاهم ، أن يمسكوا به ، وبالفعل بعد أن قتل الكثير منهم ، أمسكوا به ، وبسيفه ، وأوقعـوه على الأرض ، وانهالوا عليـه ضربًا ، وبدءوا فى التهامه حيًا !

Looloo
www.looloolibrary.com

أما عــن (سامهين) ، فمــا أن رأى ما يحــدث لوزيره ، حتى فــر إلى الشرفــة ، وهم أن يقفــز منها إلا أنهم لحقــوا به ، وأمســكوه ، وقيدوه ..

* * *

2

ووسط قرع الطبول ، نرى (سامهين) وهو مقيد من ذراعيه ، وقدميه ، ويصرخ كأنه فى جهنم ..

وفى الناحية الأخرى نرى هؤلاء القــوم ، الذين أمسكوا بالمجارف ، وشرعوا فى إزاحة التراب ، كى يصنعوا حفرة فى الأرض ..

يمكننا أن نخمن الباقى .. بالفعل سوف يدفنون ذلك الرجل حيًّا !

ما أن انتهوا ، حتى بدءوا فى جر (سامهين) الذى أخذ يصرخ ، ويصرخ ، لكن دون جدوى ، وألقوه فى الحفــرة كما هو ، وأهالوا عليه التراب حيًّا ، وتوارى (سامهين) تحت الثرى إلى الأبد جزاءً وفاقًا على عمله ، وهكذا فإن الجزاء دائمًا من جنس العمل ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

الأمــر يتضــح ..

1

فى تلك الأثنـــاء عــاد (هيثم السلحدار) مــن قريته .. كيف عرفت ؟ لأن مصابيح شقته كانت مضاءة ..

أخذت بعضى ، وذهبت إليه ، وقرعت الباب ، ليفتح لى ..

رآنى ، فاحتضننى ، ولثمنى ، ودعانى إلى الداخل ، لكننى أبيت هذا ، فقط أخبرته بما حدث ..

أخبرته أن هنالك من يدعى بـــ (سيد عبد الرحيم) قد جاء لزيارته ..

فأضاف أنه لا يعرف أحدًا بذلك الاسم ، أخذت أخبره بمواصفاته ، فلم يلبث أن قال وعيناه تتسعان عن آخرهما :

ــ هل تقصد .. (سيد عبد .. الكريم) ؟!

ــ نعم هو ذا .. وشرعت أصف له هيئته المتسخة ، التى كانت تدل على مغادرته لقبره !

قلتها .. فلم يتمالك هو نفســه ، ولا جســده ، وكــاد يتهاوى ، لكننى أمسكت به من معصمه ، وسألته قائلاً :

ــ ماذا دهاك ؟

رفع بصره تجاهى .. بعد أن صمت قليلاً ، ثم أضاف :

ــ هــذا ليس ممكنًا .. بل إنه مســتحيل .. أنت بكــل تأكيــد تهزى .. أو اختلط عليك الأمر ..

قالها فأضفت متأدبًا :

ــ بل هو ذا ..

ــ مستحيل ..

ــ لماذا ؟

ــ لأن ذلك الرجل .. هو الذى حضرنا عزاءه سويًا !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

حككت رأسى ، غير فاهم وغير مصدق كذلك .. فأردف فى استسلام :

ــ لقد كنت مرتابًا فى أن فى الأمر سرًّا ، وأن زوجتى لم تكن تهزى .. ولم تكذب على منذ البداية ..

ــ (هيثم) ماذا هنالك .. أنا لا أفهم شيئًا .

قلتها ، فأضاف هو ، مشيرًا إلى الداخل :

ــ تفضل .. سوف أقص عليك أمرًا ، قــد حدث ، وربما .. أعتقــد أن ما قلته ، ليس سوى مصيبة قادمة فى الطريق .

تفضلت أنا ودلفت إلى حيث شــقته ، وجلست على مقعد ما ، وجلس هو أمامى ، وبدأ يقص على ما حدث مع زوجته ، وابنــه (على) منــذ أن سرق التمثال ، حتى ظهــرت لهم (مى) صديقة زوجته التى ماتت ، و(رجب) البواب الذى شاهدته ، وأخبرته أنه قد عاد ، لكنه لم يصدق حرفًا ..

وأخذت أنا أقص عليه ما حدث معى ومع (أميمة) ..

* * *

ما أن انتهيت أنا من حديثى حتى رأيته وقد فغر فاه .. فأضفت أنا بعد أن بدأت الأمور تتضح لى :

إن كان ما حدث معك ومع زوجتك قد حدث بالفعل وما حدث معى بالفعل قد حدث ، فأعتقد .. بل ربما يكون أكيدًا .. أن الأمر له علاقة بتلك القلادة اللعينة ..

قلتها ، فأضاف هو متسائلاً بعد أن أفاق مما هو فيه :

ــ وما الذى أخبرك به الدكتور (عبد الحميد) ؟

ــ لا شىء بعد .. كل ما علينا هو أن ننتظر ..

* * *

ترررررررررن .. ترررررررررررررن

قاطع حديثنا جرس الهاتف الخاص بى ، فرفعته إلى أذنى ، لأجد صوت الدكتور (عبد الحميد) الرصين يضيف :

ــ أستاذ (إبراهيم) هل يمكنك أن تشرفنى ، وتصعد إلى حالاً ؟

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

(الكولونيل تشارلز) .. قد أفادنى كثيرًا كى أفهم ما يحدث ، وأفهم سر تلك القلادة ..

قالها ناهضًا ، ومتجهًا إلى أحـد أركان مكتبته ، ليلتقط أحـد الكتب الضخمة ، ويضعها أمامنا ..

وضع عوينات القراءة على قصبة أنفه .. وفتح المجلد ، ليتناول إحدى الورقات المكتوبة بقلمه الرصاص ، وهو يضيف :

ــ ها هى ترجمة تلك النقوش ..

تناولت الورقة ، وأخذت أقرأ المكتوب بصوت عالٍ :

ــ فلتتلاشى الحواجز ، وليعد الموتى .. مع سامهين ..

ــ ما معنى ذلك ؟

قالتها مدام (أميمة) ، التى أصرت أن تأتى معى إليه بعد أن اتصلت بها أنا كى أخبرها بما يدور ، فأضفت ، وأنا أعيد الورقة إلى مكتبه :

ــ أرجو من سيادتك يا دكتور أن توضح لنا أكثر ..

أزاح عويناته ، وجلس بعد أن أخرج لفافة تبغ وقداحة من النحاس غريبة الشكل .. أوقد بها اللفافة ، وأضاف ، بعد أن أخذ نفسًا عميقًا ، زفره فى الهواء :

ــ يقول الكولونيل (تشارلز) أن (سامهين) هـذا أو (ساوين) .. كلاهما صحيح .. كان إله الموتى Samana رب الموتى ..

قالها ثم صمت ليسأل كلانا :

ــ هل سمع أحدكم عن (الزومبى) من قبل ؟

ــ نعم ، لكننى أعرف القليل ..

قلتها ، ثم أضاف :

ــ حسنًا .. على كل .. لفظـة (زومبى) فى حـد ذاتها مشتقة من (نزامبى) وهى أحد آلهة غرب إفريقيا ، وقد عرف ذلك المصطلح أيضًا حسـب المعتقـد التاهيتى ، أنه الشخص فاقـد الإرادة ، الذى يأتمر بأمر شخص آخر ..

ــ كالتابع .. تقصد ؟

قالتها (أميمة) ، فأضاف هو :

ــ بالضبط ، وذلك نتيجة لأن ساحرًا قد سلط تعويذة ما عليه ، من ثم يبدو كأن الضحية قد ماتت ..

يقال أيضًا : إن السـاحر من الممكن أن يفعـل ذلك بأن يجعل الضحية تبتلع مسحوقًا به سم عصبى مستخرج من نـوع من السـمك .. وهذا بالطبـع يؤدى إلى ظهـور الضحية مخدرة لتصير فى حالة أقرب إلى المـوت ، ثم يتم دفن الضحية ، ومن ثم يسرق الساحر الجسد ، ويعيد تحريكه ..

صمت برهة ، ليلتقط أنفاسه ، ويأخذ نفسًا آخر من اللفافة ، ثم يزفره فى الهواء مضيفًا ، وهو يقلب القلادة بين يديه :

ــ وهذا ما حدث بالضبط .. فقد وضع بها أحد من السحرة سحرًا أسود

Looloo
www.looloolibrary.com

جعل من يمتلكها ، يصير ساحرًا ، رغمًا عنه .. ودون تدخل منه فى شىء ..

كل ما عليه فعله هو نطق اسم شخص ما ، أو شىء من هذا القبيل ..

وهكذا يصير ذلك الشخص زومبى ، وفى خدمة من بحوزته القلادة ..

رشفت هى من قدح القهوة الساخن ، التى أعدها لنا ، وهى تمسكه بكلتا يديها حتى يبعث الدفء فى خلاياها ، وأضافت :

ــ إذن (سعيد) زوجى ..

ــ لم يمت منذ البداية ...

قاطعتها أنا بهذه الأخيرة ، فأضاف :

ــ صحيح ، هذا ما أرنو إليه ..

ــ والكشف الطبى ، والـــ ...

ــ تشخيص الموت ليس سهلاً إلى ذلك الحد يا أستاذ (إبراهيم) .. وكم من طبيب أخطأ فى تشخيصه لمرض ليس بالعضال فما بالك بالموت ..

قالها ثم أضاف :

ــ وهناك شىء آخر.. وهو أن تلك التعويذة تجعل الشخص يشبه الموتى فعلاً ..

فهنالك أســطورة قــد ذكرها الدكتور (وليــام إشتاينر) فى كتابه « حضارات مندثرة عبر العصور » تخبرنا بالحقيقة الكاملة ..

قالها ، وهم واقفًا ومتجهًا مــرة أخــرى إلى مكتبته ليخرج مجلدين أحدهما ضخم ، والآخر صغير بعض الشىء ، كلاهما لو فتحتهما لن تفقه منهما حرفًا ، وأضاف وهو يشير إلى الكتيب الصغير :

ــ هذا هو الذى يخبرنا بالحقيقة الكاملة .. يقول أن « وبدأ يقص علينا الأسطورة الخاصة بسامهين ، وريجوس .. وطبعًا لا داعى لذكرها مرة أخرى ، لكننى لم أسمعها بعد ، فأستميحكم العذر أن تتركونى قليلاً كى أسمع من الدكتور القصة كاملة » ..

* * *

ما أن فرغ من تلك الأسطورة حتى أضاف :

ــ ومما لا شك فيه أن تلك الأسطورة تتكرر معنا بحذافيرها ..

قالها وأضاف ، بعد أن أشعل لفافة أخرى بعد التى انتهت ، وأخذ منها عدة أنفاس ، كأنه يعبئ غازًا للسيارة كى تسير ، ويكمل حديثه :

ــ والدكتور (وليام إشتاينر) حكى لنا فى كتابه هذا « وأشار إلى المجلد الضــخم » .. أن هنالك دراسات علميــة ، تؤكد أن هنــاك أنواعًا من الزومبى مــن التى جــرت عليهم تلك الدراســات تؤكد أن نوعًا منها كان مصــابًا بخلــل فى دورة المــخ .. وهنــاك آخــر كــان يعانى من الـــ ... السكيزوفرنيا .. وهنالك بعض الزومبيين من النوع الأخير قد أودى تناول الكحول الذى تتناوله أمه أثناء حملها فيه بعقله تمامًا .. أى أنه ولد معاقًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـــ أعتقد يا دكتور (عبد الحميد) أن ما تقوله .. مم .. لا تؤاخذنى إن قلت لك إنه درب من الخرافة لو كان فى وقت آخر غير ذلك ، لكنه الآن ربما يكون متوافقًا مع ما نحن بصدده ..

قلتها أنا ، ثم أضافت (أميمة) فى رصانة :

ـــ كل ذلك جميل .. لكن لم تخبرنا حتى الآن كل تلك الكتب الضخمة عن حل لتلك المشكلة ..

ابتسم الدكتور فى رصانة بدوره ، ثم أضاف :

ـــ من قال لك ذلك .. فإن الدكتور (وليام إشتاينر) قد أخبرنا بأن هنالك حلولاً ، لكننا لا نعرف أيها قد تصيب أو أيها سوف تخطئ ، وهل سيتاح لنا تطبيقها أم لا ..

قال ما قـــال ، ثم وضـــع اللفافة فى فيـــه ليأخـــذ منهـــا نفسًا آخـــر ، ثم أخرجـــه فى براعـــة من أنفـــه « لا أعلم كيـــف ؟! ، كأنه ســـاحر » ، وأضاف :

ـــ هناك حل يخبرنا به وهـــو أن نجعل هؤلاء الزومبيين يأكلون بسكوتًا مملحًا .. بالطبع هو حل ترونه مضحكًا ، لكنه كذلك فعال .. وهناك آخر يقول بأن .. أن .....

ـــ أن ماذا ؟

ـــ نغرقهم فى الماء !

كدت أن أقاطعه ، لولا أنه استرسل فى كلامه قائلاً :

ـــ بالطبـــع لن نغرقهم ليموتوا غرقى .. ما قصدته هـــو أن نغمس أجسادهم بالكامل فى الماء .

ـــ لماذا ؟.. ثم .. وكيف سيحدث هذا ؟

قالتها هذه المرة (أميمة) ، فأضاف ، بعد أن أمسك بالمجلد الضخم ، وأخذ يفره ، ليتوقف عند صفحة ما .. كان ثانيًا طرفها :

ـــ إن الماء من العناصر التقليدية اليونانية كما أخبرنا (وليام إشتاينر) هاهنا ..

وإن له سلاحًا عنصريًا ، وتسمى عناصر الماء يوندينات ، وتشير إلى النقطة أعلى يمين النجم الخماسى فى طقوس النجم الخماسى ..

صمت مرة أخرى ، ليلتقط أنفاسه ، ويأخذ نفسًا أخيرًا من آخر لفافة فى علبته ويضيف :

ـــ إن الماء أحد العناصر الخمسة التى تظهر فى معظم تقاليد الويكا(*) السحرية .. والويكا بدورها كان متأثرًا بنظام يدعى جولدن داون للسحر .. ويخبرنا دكتور (ويليام) أيضًا بأن الماء يقضى .. أو يغسل السحر غسلاً ..

أنهى (عبد الحميد) كلامه ، فأضافت (أميمة) :

ـــ أنا لست قانعة ، لكن .. ما بالأيدى حيلة ..

ـــ لكن أين هم الآن ، كى نطبق عليهم تلك النظريات .. فنحـــن لا نعلم أين ذهبوا ، ولا متى سيعودون حتى .

(*) الويكا هى أشهر ديانة وثنية جديدة ، وقد تم إشهار الويكا فى سنة 1954 على يد جرلد غاردنر وهى الآن موجودة فى العديد من دول العالم . ادعى جرلد غاردنر أن الويكا هى استمرار لديانة سحر التى استمرت بالسر لمئات السنين ، رجوعًا إلى الوثنية ما قبل المسيحية فى أوروبا ، لهذا فإن الويكا تسمى أحيانًا بالديانة القديمة .

Looloo
www.looloolibrary.com

قلتها أنا ، فأجابنى (عبد الحميد) قائلاً :

أعتقد أن علينا أن ننتظر .. فإن هذا ما نملكه .. ننتظر ، وكل منا يكون على اتصال بالآخر دائمًا ليبلغه بما يحدث .. وهل أحدهم قد زاره أم لا .. لأنهم سوف يعودون .. طبقًا للأسطورة .

قالها وتبادلنا كلنا النظرات مع بعضنا البعض ، وأضفت متنهدًا :

ــ لننتظر ..

* * *

وانتهى الأمـر ..

1

ما أن انصرفت من عند الدكتور (عبد الحميد) ، حتى أوصلت (أميمة) إلى بيتها ، وعدت إلى (هيثم) كى أخبره بما حدث ، وبما توصلنا إليه ، لأنه لم يكن معنا .. لا أعلم لما .. الغريب فى الأمر أنه لم يعترض على حرف مما قلت ، بل أضاف وقد بدا عليه الاهتمام ، وقد أثار كلامى شغفه ، وحاسة الكاتب عنده :

ــ الحق يقال أن ما قاله الدكتور (عبد الحميد) يؤيد إلى حد كبير كثيرًا مما قرأت .

قالها ، ثم أضاف :

ــ الروس قد كشفوا عن أن أنواعًا من أنسجة الجسم الحى يمكن أن تعيش مدة أطول من عمر الكائن الحى نفسه .. وفى كثير من التجارب قد ثبت ذلك .. على سبيل المثال تجربة الباحث الممتاز فى دراسة تأثير العقاقير على الإنسان ، والأنسجة المفصولة من الأحيـــاء ، الدكتور (كرافكوف) حين مرر أحد المحاليل فى الأوعية الدموية لأصبع جثة ، ثم بتر الأصبع ، وتلقى المحلول عند انسيابه منها وحلله ، فوجد فيه مواد جديدة ، وبالطبع أن الواضح أن ذلك المحلول قد أدى إلى تزويد

Looloo
www.looloo.com

خلايا الأصبع بما تحتاجه من تغذية ، وعندما تمت عملية الاحتراق الغذائى ، لفظت الأصبع الفضلات كما يفعل الكائن الحى ، ومن هذه التجربة وغيرها الكثير والكثير ، ثبت أن الموت لا يسرى فى كل أعضاء الكائن الحى دفعة واحدة ، بل إن بعض هذه الأعضاء يعيش لفترات متفاوتة بعد اختفاء علامات الحياة .. هذا شىء ..

قال ما قال كأنه فى محاضرة علم ال (physiology)(*) ثم صمت برهة ليستجمع فيها خيوط تفكيره ، وكذلك ليتذكر ما سوف يقوله ، ثم أضاف :

ــ ووفقًا لما سبق ، يمكن تقسيم الموت إلى مرحلتين عندهم ، الأول وهو مرحلة ظاهرية تختفى فيها علامات الحياة .. من نبض القلب والتنفس .. فيتوقف القلب والرئتان عن عملهما ، فيتوقف بالتالى وصول الغذاء إلى خلايا الجســم ومن ثم المخ .. فبعــد تلك المرحلة بدقائق يبدأ تحلل خلايا المخ .. وفى تلك الفترة القصيرة يمكن إعادة الحياة إلى المريض بتنشيط القلب وتشغيله ، لكن يشترط لتلك المرحلة أن تكون جميع الأعضاء الداخلية للجسم كالكبد والرئة سليمة لم تتلفها الأمراض المزمنة ، وكذا عوامل التحلل(**) ..

(*) physiology أو علم دراسة وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوية .

(**) كل ما ذكرته هنا قد ذكره الباحث لــ : فريدلاند فى بحثه ، الذى تم نشره فى سلسلة كتابى العدد رقم 36 من إصدارات المؤسسة العربية الحديثة ..

ما أن فرغ من تلك الخرافات (على الأقل بالنسبة لى فأنا جاهل تمامًا بالنسبة للعلم هذا ، فأنا لا أعلم يقينا إلا أن الأمر لا يكون ولن يكون إلا بمشيئة الخالق وحده) حتى دق جرس الهاتف الخاص بى فى إلحاح ، كأنه كان ينتظر أن ينهى (هيثم) محاضرته تلك ..

ترررررررررررررن رررررررررررن ..

عندئذ قطع حديثنا ، جرس الهاتف ، الخاص بى ، فهممت بفتحه ، لأجد الدكتور (عبد الحميد) يصرخ فى فزع :

ــ إنهم هنا .. لقد أتوا إلى !!

تركت (هيثم) ، وصعدت راكضًا إلى حيث شقة الدكتور(عبد الحميد) ، ومعى (هيثم) ، الذى تركنى للمرة الثانية أصعد وحدى ، وهرع إلى أســفل الدرج هاربًا ؟!

وقفت أمام الباب الخاص بــ (عبد الحميد) لأجد الثلاثة .. (سعيد) و(شخص آخر لا أعلمه ، لكن لا داعى لامتلاكى ذكاءً مبهرًا كى أعلم أنه (سيد عبد المعين) صديق (هيثم السلحدار) ، وسيدة أخرى ، خمنت أنها (مى) صديقة زوجة (هيثم) ..

وقفوا على باب الشقة فى مشهد أشبه بتلك المشاهد ، التى نشاهدها فى الأفلام التى تخص الزومبى ، وأكلى لحوم البشر ، يقرعون الباب بأيديهم ..

توقفت للحظات ألتقط فيها أنفاسى ، وأفكر فيما سوف أفعله ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وتررررررن تررررررررررن !

دق هاتفى فى إلحاح !

حاولت أن أتدارك الأمر ، لكنهم كانوا قد انتبهوا إلى .. وتركوا ما كانوا يفعلونه ، وبدءوا فى السير تجاهى بتؤدة ..

* * *

2

لم أدر ما أفعـــل ، استدرت كى أركض هاربًا إلى أســـفل ، فوجدت (هيثم السلحدار) يقف أمامى مباشرة ، ممسكًا بالكثير من علب البسكويت المملح !

كدت أن أصرخ فى وجهه بأن الوقت ليس بالمناسب ، لتناول تلك الأشياء ، لكنـــه ودون كلمة أخرى ، بدأ فى فتح تلك العلب ، وإخراج البسكويت منها ، ثم أخذ يلقيه تجاه هؤلاء القوم !.. « يا له من تصرف غريب » !

لكنهم ، ولشدة الغرابة ، بدءوا فى الانحناء ، لالتقاط قطع البسكويت من الأرض ، ليأكلوها فى نهم شديد !

وبدءوا وكأنهم يستفيقوا مما كانوا فيه ، واحدًا تلو الآخر !

نظرت إلى (هيثم) لأجده ينظر لى فى شمم ، وهو يضيف :

ــ الدكتور (وليام إشتاينر) .. أرجو منك ألا تنسى أننى كاتب رعب محنك وقارئ لا بأس به أيضًا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

خـــاتمـة

جلس (سعيد) على الأريكة ، يحتسى القهوة ، ويستمع إلى زوجته (أميمـــة) ، التى أخذت تقص عليه بدورها ما حدث له تفصيلاً بعد أن قصصته له أنا ، وتقص عليه دورى البطولى ..

وجلس (هيثم السلحدار) ، وزوجته (رباب) فى شقة صديقتها (داليا) ، وأختها يقصان عليهما ما حدث لـــ (مى) ..

وجلست أنا مع الدكتور (عبد الحميد) ، ومعنا السيد (سيد عبد الكريم) ــ الذى أخيرًا حفظت اسمه ، وكذلك (رجب) البواب الذى لم يمت بعد ، وذلك لسوء حظنا ــ نقص عليهما ما حدث ، وأخذا بدورهما ، ينظران إلى القلادة متفحصين إياها ، وقد غمسها (عبد الحميد) فى كأس مليئة بالماء ، ووضعها على أحد الأرفف الخاصة بمكتبته ، إلى جوار التمثال الخاص بها ..

ثم أضاف (رجب) ولم تغادر عينيه تلك الكأس :

ــ إلى أية حضـــارة تنتمى تلك الولادة يا دكتور ؟

نظر إلى (عبد الحميد) وهو يقهقه ، ثم أضاف مبتسمًا :

اسمها قلادة يا (رجب) .. على كل حـــال هى تعـــود إلى الحضارة الدرويدية .. هل سمعت عنها من قبل ؟

هرش (رجب) فى رأسه ، ثم أضاف فى غباء :

ــ الحقيقة لا ..

نظرت إليه أنا تلك المرة وأضفت :

ــ فعلت خيرًا .

تمت بحمد الله

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية

3 ميتافيزيقا

تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة

أحمد فكرى

28 / 11 / 015

ساوين !

المشاعل تنتشر فى جميع الأرجاء .. الطبول تدق بشكل درامى بحت ، تجعل قلبك يدق معها .. يصرخ أحد الصبية فى أمه ، وهو يشير ناحية المقابر .. ويتوارى خلف عباءتها !

هنا نشاهد تلك اليد النحيلة قد خرجت من تحت الأرض ، وبدأت فى إزالة التراب عن سطح الأرض لتغادر المقبرة .

Looloo

Digitally signed by Looloo
DN: cn=Looloo, o=www.looloolibrary.com, ou, email=looloo@looloolibrary.com, c=EG
Date: ٢٠١٦.٠٣.٠٩ ٠٢:٣٣:٥٣ +٠٢'٠٠'

www.rewayatmasreya.com

facebook.com/rewayatmasreya

الخط الساخن 19350

العربية للتنمية